□ علوُّ الهمة في الخوْف والرَّجاء □

إن الرجاء والخوف جَناحانِ بهما يطير المقربون إلى كلّ مقامٍ محمود ، ومطيَّتانِ بهما يقطع من طرَق الآخرة كلَّ عقبةٍ كَئُود ، فلا يقود إلى قرْبِ الرحمٰن وروْح الجنان – مع كونه بعيدَ الأرجاء ، ثقيلَ الأعباء ، محفوفًا بمكاره القلوب ، ومشاقِّ الجوارح والأعضاء – إلّا أزمّة الرجاء ، ولا يصدّ عن نارِ الجحيم والعذاب الأليم– مع كونه محفوفًا بلطائفِ الشهواتِ، وعجائب اللّذات– إلا سِياطُ التخويف ، وسطْواتُ التعنيف[1] .

والخوْف – كما قال أبو القاسم الجنيد –: توقُّع العقوبة على مجاري الأنفاس .

والخوف سوْطُ اللهِ ، يُقوّم به الشاردين عن بابه . والخوف سراجٌ في القلب ، به يُبصر ما فيه من الخير والشرّ .

قال حاتم الأصم : لكلّ شيءٍ زينةٌ ، وزينةُ العبادة : الخوف .

وقال الفضيل : « من خاف الله دلّه الخوفُ على كلّ خير » .

وما فارق الخوف قلبًا إلا خرِب . والناس على الطريق ما لم يزُل عنهم الخوف ، فإذا زال عنهم الخوف ضلّوا الطريق . وإذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهواتِ منها ، وطرد الدنيا عنها .

فلا يغترّ أحدٌ بمكانٍ صالحٍ ، فلا مكان أصلحُ من الجنة ، ولقي فيها آدم ما لقي . ولا يغترّ أحدٌ بلقاء الصالحين ورؤيتهم ، فلا شخص أصلحُ من النبي ﷺ ، ولم ينتفع بلقائه أعداؤه والمنافقون .

---

(١) تحت الطبع مُؤلَّف لي، وجُمع بعنوان: «عيْشُ السعداء بيْن الخوْفِ والرجاء».

فإن استطعت يا أخي أن تكون بمنزلة رجلٍ قد احتَوَشتْه السِّباعُ والهوامُّ فهو خائفٌ حَذِرٌ ، يخاف أن يغفل فتفترسه السِّباع ، أو يسهو فتنهشه الهوامُّ ، فهو مذعورُ القلبِ وَجِلٌ ، فهو في المخافة ليلهُ ، وإنْ أَمِنَ المغترّون ، وفي الحزْنِ نهارَه وإن فرح البطّالون ، والظمآن يجزيه من الماء أيسرُه ، والقلب الجامد تنبو عنه كلُّ المواعظِ .

قال أُوَيْسُ القرني : « كُنْ في أمر الله كأنك قتلتَ الناس كلهم » . وفي رواية : « لا تنال هذا الأمر حتى تكون كأنك قتلتَ الناسَ أجمعين »[1] .

وما أنصبَ العبادَ وأضناهم إلا ذكر المقام ، وخوْفُ الحساب ، وروْعةُ النداء بالعرْض على الله ، ولِمَ لا تذوب أبدان العبَّاد والزُّهَّاد والخدّام فزعًا والقيامة أمامهم ، وفي العَرَصَاتِ مقامُهم ، وعلى الصراط جوازهم ، ولهم في يومٍ ما قد عملوا ؟! فمن لك في ذلك الموقف ، ومَن لتحيُّرك وتَلدُّدك ، ولجوعك وعطشك ؟! فوا طول وقفتاه ؟ وا تحيُّراه ! وا ثِقَلَ ظهراه من حمْل الذنوب والمظالم والخطايا وأوساخ العيوب ، أوه من حَمْلها ! أوه مِن ذكْرها ! أوه مِن ثقلها ! أوه مِن إقراري بها !!

نزف البكاءُ دموعَ عينكَ فاستعِرْ عينًا لغيرِكَ دمعها مدرارُ
مَن ذا يُعيرُك عينَهُ تبكي بها أرأيتَ عينًا للدُّموع تُعَارُ

والخشية أخصُّ مِن الخوف ؛ فهي خوفٌ مقرونٌ بمعرفةٍ ، قال تعالى : ﴿ **إنما يخشَى الله مِن عبادِه العلماءُ** ... ﴾ .

والوجل : رجفان القلب وانصداعه لذكْر مَن يخاف سلطانه وعقوبته .

---

(١) شُعَب الإيمان للبيهقي .

والهيبة : خوفٌ مقارِنٌ للتعظيمِ والإجلال ، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة .

والإجلال: تعظيمٌ مقرونٌ بالحبّ .

«فالخوف لعامّة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبّين، والإجلال للمقرّبين »[1].

والخوف على درجاتٍ وأنواع :

الدرجة الأولى : الخوف من العقوبة : وهو الخوف الذي يصحُّ به الإيمان ، وهو خوف العامة ، وهو يتولَّد من تصديق الوعيد ، وذكْر الجناية ، ومراقبة العاقبة . وهذا الخوف علامةُ صحة الإيمان ، وترحُّله من القلب علامة ترحُّل الإيمان منه .

والدرجة الثانية : خوْف المَكْر : فكمْ مِن مغبوطٍ بحاله انعكس عليه الحال ، ورجع من حُسْن المعاملة إلى قبيح الأعمال ، فأصبح يُقلّب كفَّيْه ويضرب باليمين على الشمال ! بينما بدْرُ أحواله مستنير في ليالي التمام ، إذ أصابه الكسوف ، فدخل في الظلام ، فبُدِّل بالأُنْس وحشة ، وبالحضور غيبة ، وبالإقبال إعراضا ، وبالتقريب إبعادا ، كما قيل :

أحسنتَ ظنَّك بالأيامِ إذْ حسُنَتْ ... ولم تخفْ سوء ما يأتي بهِ القدَرُ
وسالمتْكَ الليالي فاغتررتَ بهَا ... وعند صَفْوِ الليالي يحدثُ الكَدَرُ[2]

أخي ، لقد قطّع قلوب الخائفين طول الخلودَيْنِ : إمَّا في الجنة أو في النار .

وأغلبُ المخاوف خوف الخاتمة :

قال سهل : خوف الصدِّيقين مِن سوءِ الخاتمة عند كلِّ خطْرةٍ وعند

(١) مدارج السالكين ١/٥١٣ .

(٢) مدارج السالكين ١/٥١٥ - ٥١٦ .

كل حركةٍ، وهم الذين وصفهم الله تعالى؛ إذْ قال: ﴿وقُلوبُهُمْ وَجِلَةٌ...﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

لما احتضر سفيانُ الثوري جعل يبكي ، فقيل له : يا أبا عبد الله ، عليك بالرجاء ؛ فإنّ عفو الله أعظم مِن ذنوبك ، فقال : أو على ذنوبي أبكي ؟! لو علمتُ أني أموت على التوحيد لم أبالِ بأنْ ألقى الله بأمثال الجبال مِنَ الخطايا .

وأعلى الأقسام وأدلُّها على كمال المعرفة خوف السَّابقة وما سبق به القضاء في أمِّ الكتاب وعلم الله فينا :

والخوف من عذابه وأخْذه ؛ فإنَّ أخذه أليمٌ شديدٌ .

والخوف منه ؛ أعني أن يخافَ العبدُ الحجابَ عنهُ ، ويرجو القربَ منه .

قال ذو النون : خوف النار عند خوف الفراق كقطرةٍ قُطِرتْ في بحرٍ لجِّيٍّ .

سيدُ الخائفينَ رسـول الله ﷺ :

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله ، قد شِبْتَ ! قال : « شيبتني هودٌ وأخواتُها »[(١)] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ، قد شبتَ ! قال : « شيّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمَّ يتساءلون وإذا الشمس كورت »[(٢)] .

وعن عبد الله بن الشخير بن عوف رضي الله عنه : « رأيت رسول الله

---

(١) صحيح : رواه الترمذي.

(٢) صحيح .

ﷺ يصلي وفي صدْره أزيزٌ كأزيزِ الرَّحى مِن البكاء »[١].

بأبي وأمي مَن كان إذا تغيّر الريحُ دخل وخرج ، وعُرِف ذلك في وجهه ... بأبي وأمي مَن كان يبكي حتى يبلّ ثوبه ويبلّ الثرى بدموعه ... بأبي وأمي مَن مرّ بإخوانه وهم حوْل قبر يدفنون رجلًا فبدر مِن بين أيديهم ، ثم واجه القبر حتى بلّ الثرى من دموعه ، وقال : « أيْ إخواني ، لِمثل هذا اليوم فأعِدُّوا »[٢].

خليلُ الرَّحمٰن إبراهيمُ عليه السلام :

قال كعب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إبراهِيمَ لَحلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود : ٧٥] : كان إذا ذكر النار قال : أوه .

قال الشوكاني في « فتح القدير » (٤١١/٢) : « والمطابِق لمعنى الأوّاه - لغةً - أنْ يُقال : إنه الذي يُكثر التأوّهَ مِن ذنوبه .

آدمُ وداودُ عليهما السلام :

قال علقمة بن مرثد : « لو عدل بكاءُ أهل الأرض ببكاءِ داود ما عدَله ، ولو عُدل بكاءُ أهل الأرض ببكاء آدم حين أُهبط إلى الأرض ما عدله » .

وقال ثابت البناني : ما شرِب داود شرابًا بعد المغفرة إلا ونصفُه ممزوجٌ بدموعِ عينَيْه .

وعن مجاهد أن داود نبي الله عليه السلام بكىٰ من خطيئتِهِ حتى هاجَ ما حولَه .

---

(١) إسناده حسن ، أخرجه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان ، وأبو نعيم ، وابن المبارك في الزهد ، والترمذي في الشمائل ، والحاكم وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم وأقرّه الذهبي .

(٢) حسن : رواه أحمد في مسنده ، وابن ماجه عن البراء ، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦٥٩ .

جبريلُ ومِيكائيلُ عليهما السـلام :

قال رسول الله ﷺ : « مررتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي بالملأ الأعلىٰ ، وجبريل كالحلس البالي مِن خشية الله تعالى »[١] .

وعن أنـس رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال لجبريل : « ما لي لا أرى ميكائيلَ يضحك ؟ » قال : ما ضحك ميكائيل منـذ خُلقتِ النار[٢] .

وهذا (**عمر بن الخطاب**) رضي الله عنه ، حفرت الدموع خطَّيْنِ أسوَدَيْن في وجهه .

فقل لي بربك : كيف تحفر الدموع مجرىٰ في اللحم .

مَن لمْ يَبِتْ والخوْفُ حشو فؤادِه لم يدرِ كيفَ تُفَتَّتُ الأَكْبَادُ

وكان يمرُّ بالآية من وِرْده بالليل فيمرض حتى يعودَه الصحابة شهرًا .

و (**أبو عبيدة بن الجراح**) رضي الله عنه :

قال قتادة : قال أبو عبيدة بن الجراح : وددتُ أني كنت كبْشًا ، فيذبحني أهلي ، فيأكلون لحمي ويحسون مرقي[٣] .

وكان تحت عيني (**ابن عباس**) رضي الله عنهما مثلُ الشِّراك البالي من كثرة الدموع .

وهذا الصحابي الجليل (**عبد الله بن مسعود**) رضي الله عنه ، يقول : « لوددتُ أن الله عز وجل غفر لي ذنبًا مِن ذنوبي وأني سُمِّيتُ عبدَ الله

---

(١) حسن رواه الطبراني في الأوسط عن جابر ، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٨٦٤ .

(٢) إسناده جيد ، رواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين . وقال العراقي في تخريج الإحياء : إسناده جيد .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/١ ، وطبقات ابن سعد ٣٠٠/١/٣ .

ابن روثة »[١].

وقال أيضًا : « والذي لا إله غيره لوددتُ أني أنقلب روثةً ، وأني دعيتُ عبد الله بن روثة ، وأن الله غفر لي ذنبًا واحدًا »[٢].

وكان يقول : إن هاهنا رجلًا ودَّ لو أنها قامت ألا يُبْعَثَ . يعني القيامة .

وهذا الصحابي الجليل (**عبد الله بن عمرو بن العاص**) يقول : « لَأَن أدمع دَمعة مِن خشيةِ الله أحبُّ إليَّ من أنْ أتصدَّقَ بألف دينارٍ »[٣].

و (**شدّاد بن أوس**) صاحب الحذَر والوَرع ، والبكاء والضَّرع رضي الله عنه ، كان إذا دخل الفراش يتقلّب على فراشه بمنزلةِ القمْحَة في المقلاة على النار ، ويقول : اللهم إنّ النار قد أذهبتْ مني النوم . فيقوم يصلي حتى يُصبح .

يقول عليُّ بن أبي طالب عن الصحابة – وقد علَتْه كآبةٌ –: لقد رأيتُ أصحابَ محمدٍ ﷺ ، فلمْ أرَ اليوم شيئًا يُشْبِهم ، لقد كانوا يُصبحون شُعْثًا غُبْرًا ، بين أعينهم أمثالُ رُكَبِ المعزى ، قد باتوا لله سُجّدًا وقيامًا ، يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يَميد الشجر في يومِ الريح ، وهمَلَتْ أعينهم حتى تبلّ ثيابهم ، والله فكأني بالقوم باتوا غافلين . فما رُئيَ بعد ذلك ضاحكًا حتى ضربه ابنُ مُلجم .

---

(١) إسناده صحيح ؛ أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ، وابن أبي شيبة في المصنف وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشُّعَب .

(٢) إسناده حسن ، أخرجه البيهقي في الشُّعَب ، ونحوه أحمد في الزهد .

(٣) إسناده حسن ، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة .

وقالت ابنة (**الربيع بن خُثَيْم**) : « كنت أقول لأبي : يا أبتاه ، ألا تنام ؟! فيقول : يا بُنيّة ، كيف ينام مَن يخاف البيات ؟! .

وعن مالك بن دينار قال : قالت ابنة الربيع بن خُثَيْم : يا أبتاه ، إني أرى الناس ينامون وأنت لا تنام ؟ قال : يا بنية ، إن أباك يخاف البيات »[١].

ولما رأت أم الربيع بن خُثَيْم ما يلقى الربيع مِن البكاء والسَّهَر نادته فقالت : يا بني لعلك قتلتَ قتيلًا ؟ فقال : نعم يا والدة ، قتلتُ قتيلًا . فقالت : ومَن هذا القتيل يا بني ، نتحمل على أهله فيعفوك ، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسَّهر لقد رحموك ؟ فيقول : يا والدتي ، هي نفسي .

« وآلى[٢] (**ربيع بن خراش**) ألا تفترّ أسنانُه ضاحكًا حتى يعلم أين مصيره ، فما ضحك إلّا بعد موته ، وآلى أخوه ربعي بن خراش بعده ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أو في النار .

قال الحارث الغنوي : فلقد أخبرني غاسِله أنه لم يزل مبتسمًا على سريره - وكنا نغسِّله - حتى فرغنا منه »[٣].

وعن الحسن البصري ، قال : قال (**غزوان الرّقَّاشِيّ**) : لله عليّ أن لا يراني ضاحكًا حتى أعلم أيّ الدارَيْن داري .

قال الحسن : فعزم والله ما رُئِي ضاحكًا حتى لحقَ بالله عز وجل[٤].

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/٥٧٠ ، والحلية ٢/١١٤ .

(٢) أقسم .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان . وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ، والذهبي في السير ٤/٣٦٠ ، ولم يذكر فيه خبر ربيع .

(٤) شعب الإيمان ، الزهد لأحمد ص٢٥٥ ، صفة الصفوة ٣/٢٥١ .

وسيد البكّائين (**الحسن البصري**) كان إذا تكلّم كأنه يُعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها ، كان إذا بكى فكأن النار لم تُخلق إلا له ، وإذا قدم فكأنما قدِم من دفْن حميمٍ له ، وإذا جلس فكأنما هو أسيرٌ يستعد لضرْب عُنُقه .

قال يونس بن عُبيد : ما رأيت أحدًا أطول حزنًا من الحسن ، كان يقول : نضحك ولعلّ الله قد اطَّلع على أعمالنا فقال : لا أقبلُ منكم شيئًا .

قال الحسن : إن المؤمن يُصبح حزينًا ويُمسي حزينًا ، ولا يسعه غير ذلك ؛ لأنه بين مخافتَيْن : بين ذنبٍ قد مضى لا يدري ما الله يصنع فيه ، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهالك .

وقال رحمه الله : إن المؤمن يصبح حزينًا ويُمسي حزينًا ، وينقلب باليقين في الحزن ، ويكفيه ما يكفي العنيزة : الكَفُّ من التمر ، والشربةُ من الماء .

وقال : والله لا يؤمن عبدٌ بهذا القرآن إلا حزِنَ وذَبُلَ ، وإلا نصبَ ، وإلّا ذاب ، وإلا تعِبَ .

أُتي - رحمه الله - بكوزٍ من ماءٍ ليفطر عليه ، فلما أدناه إلى فيهِ بكى ، وقال : ذكرتُ أمنية أهل النار ، وقولهم : ﴿ **أنْ أفيضُوا علينَا مِنَ المَاءِ ...** ﴾ [الأعراف : ٥٠] ، وذكرتُ ما أُجيبُوا ﴿ **إنَّ اللَّهَ حرَّمَهمَا على الكافِرين ...** ﴾ [الأعراف : ٥٠] .

وقال الحسن : ما خافه إلا مؤمن ، ولا أمِنَه إلا منافق .

قال رجلٌ للحسن : يا أبا سعيد ، كيف أصبحتَ ؟ قال : بخيرٍ . قال : كيف حالك ؟ فتبسَّم الحسن ، وقال تسألني عن حالي ؟! ما ظنُّك بناسٍ ركبوا سفينة حتى توسَّطوا البحر فانكسرتْ سفينتُهم ، فتعلق كل إنسان منهم بخشبةٍ ، على أيّ حال يكون ؟ قال الرجل : على حالةٍ شديدةٍ .

قال الحسن : حالي أشدّ من حالهم .

وقال الحسن رحمه الله : يحقّ لمن يعلم أن الموت مورده ، وأن الساعة موعده ، وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده أن يطول حزنه .

قال الحسن : « المؤمن من علم أن ما قال الله كما قال ، والمؤمن أحسن الناس عملًا ، وأشدُّ الناس وجلًا ، فلو أنفق جبلًا من مالٍ ما أمِن دون أن يعاين ، لا يزداد صلاحًا وبرًّا إلا ازداد فَرَقًا ، والمنافق يقول : سواد الناس كثير ، وسيُغفر لي ، ولا بأس عليّ ، فيسيء العمل ويتمنَّى على الله »[١] .

عوتب الحسن في شدّة حزنه وخوفه ، فقال : ما يؤمِّنني أن يكون الله تعالى قد اطّلع فيّ على بعض ما يكره فمقتني ، فقال : اذهبْ فلا غفرتُ لك . فأنا أعمل في غير معتمل .

وكان (**طاووس**) يُفرَش له الفرشُ فيضطجع ويتقلّى كما تتقلّى الحبّة في المقلى ، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ، ويقول : « طيّر ذكْر جهنم نومَ الخائفين »[٢] .

« قال الحرّ بن أبي الحصين العنبري : مرّ طاووس بروَّاسٍ قد أخرج رأسًا فغُشيَ عليه .

وقال عبد الله بن بشر الرقي : كان طاووس إذا رأى تلك الرؤوس المشويَّة لم يتعشَّ تلك الليلة »[٣] .

سفيانُ الثوري :

« قال يوسف بن أسباط : كان سفيان إذا أخذ في ذكْر الآخرة يبول

---

(١) السير ٥٨٦/٤ ، والحلية ١٥٣/٢ .

(٢) الإحياء ١٩٨/٤ .

(٣) السير ٤٠/٥ .

الدم »[١] .

وقال ابن مهدي : كنتُ أرمُق سفيان في الليلة بعد الليلة ينهض مرعوبًا ، يُنادي : النارَ النارَ ، شغلني ذكْر النار عن النوم والشهوات[٢] .

وعن أبي نعيم قال : كان سفيان الثوري إذا ذكر الموت لا يُنتفَع به أيَّامًا ، فإذا سُئِل عن الشيءِ ، قال : لا أدري ، لا أدري .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : مات سفيان الثوري عندي ، فلما اشتد به جعل يبكي ، فقال له رجل : يا أبا عبد الله ، أراك كثير الذنوب ؟ فرفع شيئًا من الأرض ، فقال : والله لذنوبي أهونُ عندي من ذا ، إني أخاف أن أُسْلب الإيمان قبل أن أموت .

وعن أسامة قال : كان مَن يرىٰ الثوري يراهُ كأنه في سفِينةٍ يخاف الغرَق ، أكثر ما تسمعه يقول : يا رب ، سلِّمْ ، سلِّمْ .

وعن عطاء الخفاف قال : ما لقيتُ الثوري إلا باكيًا ، فقلت : ما شأنك ؟ قال : أخاف أن أكون في أمِّ الكتاب شقيًّا .

وعن يحيىٰ بن يمان قال : سمعت سفيان الثوري يقول : لقد خفت الله خوفًا وددت أنه خفّف عني[٣] .

وعن يحيى قال : قال الثوري : خفتُ الله خوفًا عجبتُ أني كيف ما متّ ، إلا أنّ لي أجلًا أنا بالغُهُ .

وعن زيد بن أبي الزرقاء قال : حُمل ماءُ سفيانَ إلى طبيبٍ في عِلَّته ،

---

(١) السير ٢٤٢/٧ .
(٢) السير ٢٧٦/٧ ، والحلية ٦٠/٧ .
(٣) « ثلاث شعب من الجامع لشعب الإيمان » ٢٥٣/١ تحقيق : د . عبد الإله الأحمدي – طبع : دار طيبة .

فلما نظر قال : هذا ماء رجلٍ قد أحرق الخوفُ جوْفه[١].

مسعر بن كِدام :

قال حفص بن عبد الرحمن : أتيتُ مسعر بن كدام ليحدثني ، فكأنه رجل أُقيم على شفيرِ قبرٍ . قال مرة أخرى : على شفيرِ جهنَّمَ لِيُلْقى فيها[٢] .

وعن يحيى بن آدم قال : لما حضرتْ مسعرًا الوفاة دخل عليه سفيان الثوري فوجده جزِعًا ، فقال له : لِمَ تجزع ؟ فوالله لوددتُ أني متُّ الساعة . فقال مسعر : أقعدوني . فأعاد عليه سفيان الكلامَ ، فقال : إنك إذًا لواثقٌ بعملك يا سفيان ، لكني - واللّهِ - لكأني على شاهقِ جبل ، لا أدري أين أهبط . فبكى سفيان ، فقال : أنت أخوف لله عزّ وجلّ مني[٣] .

مالك بن مغول :

عن ابن زحم قال : جلسَ سفيان الثوري ومالك بن مغول ، فتذاكرا حتى رقَّا ، فقال سفيان : وددتُ أني لا أقوم من مجلسي حتى أموت . فقال مالك : لكني لا أحب ذلك ، معاينة الرسل ! معاينة الرسل ! ثم قام يبكي يخطّ الأرض برجليْه[٤].

مُطرف بن عبد الله الشّخير :

قال رحمه الله : لو أتاني آتٍ مِن ربي فخيرني بين أن يخبرني أفي الجنة أنا أم في النار ، وبين أن أصير ترابًا ، لاخترتُ أن أصير ترابًا .

وقال رحمه الله : لقد كاد خوْفُ النار أن يحولَ بيني وبين أن أسأل

---

(١) ثلاث شعب من الجامع ٢٥٤/١ ، والسير ٢٧٠/٧ .

(٢) ثلاث شعب من الجامع ٢٥٢/١ .

(٣) روضة الزاهدين لعبد الملك علي الكليب . طبع : مكتبة ابن تيمية .

(٤) روضة الزاهدين ص٣٢ .

ربي الجنة[١] .

يـزيد بن مـرثد :

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : قلت ليزيد بن مرثد : ما لي أرىٰ عينك لا تجفّ ؟ قال : وما مسألتك ؟! قلت : لعلّ الله أن ينفع به . قال : إن الله عز وجلّ توعّدني إنْ أنا عصيتُه أنْ يسجنني في النار ، والله لو توعّدني أن يسجنني في الحمّام كنت حريًّا أن لا يجف لي دمعٌ . فقلت : هكذا في خلْوتك ؟ قال : واللهِ إنه لَتُوضع القصعة بين أيدينا فيعرِض لي فأبكي ، ويبكي أهلي ، ويبكي صبيانُنا ، لا يدرون ما أبكانا . واللهِ إني لأسكُن إلى أهلي ، فيعرض لي ، فيحول بيني وبين ما أريد ، فيقول أهلي : يا ويحها ما خصّت به معك من طول الحزن ، ما تقرُّ لي معك عينٌ[٢] !

مـالك بن دينـار :

قال مالك : الحزن تلقيح العمل الصالح[٣] .

وقال رحمه الله : لولا أن يقول الناس : جُنّ مالك ، لَلَبستُ المَسُوح ، ووضعتُ الرَّماد على رأسي ، أنادي في الناس : مَن رآني فلا يَعْصِ ربَّه[٤] .

وقال رحمه الله : لو استطعت أن لا أنام لم أنمْ ؛ مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ، ولو وجدتُ أعوانًا لفرّقتُهم ينادون في سائر الدنيا كلها : أيها الناس ، النارَ النارَ .

---

(١) ثلاث شعب من الجامع ١/٢٢٥ ، ٢٥٨ .

(٢) الزهد لابن المبارك ص١٦٦ ، والزهد لأحمد ص٢٥٨ ، والفسوي في المعرفة ٢/٣٧٨ ، والحلية ٥/١٦٤ .

(٣) الهم والحزن لابن أبي الدنيا ص٤/ب ، وثلاث شعب ١/٢١٣ ، وصفة الصفوة ٣/٢٧٧ .

(٤) الزهد لأحمد ص٣٩١ ، وأبو نعيم في الحلية ٢/٣٧١ ، وشعب الإيمان .

وقال مالك : لقد هممتُ إذا أنا متُّ آمرهم أن يقيّدوني ويُغلّوني ، ثم ينطلقوا بي إلى ربي كما يُنطَلَق بالعبد الآبق إلى سيده[١] .

وقال رحمه الله : « بينما أنا أطوف بالبيت إذْ أنا بجويرية متعبِّدة ، متعلِّقة بأستار الكعبة وهي تقول : يا ربِّ ، كمْ شهوةٍ ذهبتْ لذَّتُها وبقيتْ تبعاتها ! يا رب ، أما كان لك أدبٌ وعقوبة إلا النار ؟! وتبكي ، فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر . قال مالك : فلما رأيتُ ذلك وضعتُ يدي على رأسي صارخًا أقول : ثكلتْ مالكًا أمُّه »[٢] .

عطاء السّليمي رحمه الله :

قال عطاء : وجدوا بين يديه نُدُوّةً قدْر ما يتوضأ الرجل ، فأخبروه أن ذلك مِن دموعه .

وكان عطاء السليمي يبكي حتى خشي على عيْنَيْه ، فأُتي بطبيبٍ يداوي عينه ، قال : أداوي ، بشرط أن لا تبكي ثلاثة أيام . فاستكره ذلك ، وقال : لا حاجة لنا فيك .

وقال رحمه الله : بكيتُ على ذنبٍ أربعين سنةً ؛ صِدتُ حمامةً ، وإني أحمد الله إليكم ، تصدقت بثمنها على المساكين ؟ قال البيهقي رحمه الله : وكأنه ارتاب بها ، هل هي مملوكة أو غير مملوكة .

وكان رحمه الله يضرب بيده فزعًا إلى أعضائه ، يحسها؛مخافة أن تكون قد غُيِّرتْ خلقته .

وعن جعفر بن سليمان قال : التقى ثابت البناني وعطاء ثم تفرقا ، فلما كان عند الهاجرة ، جاء عطاء فخرجت الجارية إليه ، ثم دخلت وهو

---

(١) الإحياء ١٩٥/٤ .

(٢) الإحياء ١٩٤/٤ .

يريد القائلة ، فقالت : أخوك عطاء . فخرج إليه ، فقال : يا أخي ، في هذا الحرِّ ؟! قال : ظللتُ صائمًا فاشتد عليّ الحرُّ ، فذكرت حرَّ جهنم ، فأحببتُ أن تعينني على البكاء . فبكيا حتى سَقطا .

وعن أبي سليمان قال : كان عطاء قد اشتد خوفه ، وكان لا يسأل أبدًا الجنة ، فإذا ذُكِرت عنده الجنة قال : نسأل اللهَ العفوَ .

وقيل له في مرضه : ألا تشتهي شيئًا ؟ فقال : إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعًا للشهوة .

قال نعيم بن مورّع : أتينا عطاء السليمي ، فجعل يقول : ليت عطاء لم تلده أمُّه ، وكرّر ذلك حتى اصفرتِ الشمس .

وقال صالح المري : قلت له : يا شيخ ، قد خدعك إبليسُ ، فلو شربتَ ما تقوى به على صلاتك ووضوئك.فأعطاني ثلاثة دراهم وقال : تعاهدْني كلَّ يوم بشربة سُويقٍ . فشرب يومين وترك ، وقال : يا صالح ، إذا ذكرتُ جهنم ، ما يسعني طعامٌ ولا شرابٌ[1] .

بكى رحمه الله حتى عَمِش ، وربما غُشِي عليه عند الموعظة .

هشام الدّسْتوائي :

« قال عبيد الله العيشي : كان هشام الدستوائي إذا فقد السراج من بيته يتململ على فراشه ، فكانت امرأته تأتيه بالسراج ، فقالت له في ذلك ، فقال : إني إذا فقدتُ السراجَ ذكرتُ ظلمة القبر » .

« قال شاذ بن فيّاض : بكى هشام الدستوائي حتى فسدتْ عينه ، فكانت مفتوحةً وهو لا يكاد يبصر بها »[2].

---

(١) السِّير ٦/٨٧ .

(٢) السير ٧/١٥٢ .

عبد الله بن المبارك :

قال نعيم بن حمّاد : « كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق تغيّر ، كأنه ثور منحور - أو بقرةٌ منحورةٌ - من البكاء ، لا يجترىء أحدٌ منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيءٍ إلا دفعه »(١) .

قال الفضيل يومًا - وذكر عبد الله -: أما إني لأحبه ؛ لأنه يخشى الله عز وجل .

وقال أبو إسحاق : قيل لابن المبارك : رجلانِ : أحدهما أخوف ، والآخر قُتل في سبيل الله ؟ قال : أحبّهُما إليّ أخوَفُهُما(٢) .

وكان رحمه الله يتقلّب على فراشه من الغمِّ ويقول : مَن يصبر على أخْذ الله ؛ إن أخذه أليمٌ شديدٌ ؟!

وقال رحمه الله : مِن أعظم المصائب للرجل أن يعلم مِن نفسه تقصيرًا ، ثم لا يبالي ولا يحزن عليه(٣) .

وقال رحمه الله : « إن البُصراء لا يأْمنون مِن أربع خصالٍ : ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الربُّ فيه ، وعمر قد بقي لا يدري ماذا فيه من الهلكات ، وفضل قد أعطي لعلةٍ واستدراج ، وضلالةٍ وقد زُيِّنتْ له فيراها هدًى ، ومن زيْغ القلب ساعةً ساعةً ، أسرع من طرْفة عينٍ قد يُسلب دينه وهو لا يشعر »(٤) .

« خرج ابن المبارك يومًا على أصحابه ، فقال : إني اجترأتُ البارحة

(١) تاريخ بغداد للخطيب ١٦٦/١٠ ، وصفة الصفوة ١٣٧/٤ ، وشعب الإيمان .
(٢) الجامع لشعب الإيمان .
(٣) الجامع لشعب الإيمان .
(٤) الجامع لشعب الإيمان .

على الله ، سألتُه الجنة »[١].

يا لله ! أئمة ولا يرون أنفسهم أهلًا لسؤال الجنة ! لقد استولى عليهم الخوف من النار ، كحالِ آخر رجلٍ يخرج من النار حَبْوًا ... يقول لربه عز وجل : اصرفْ وجهي عن النار ، لا أسألك شيئًا غير ذلك . وعلى هذا يتنزل كلام السادة أئمة الإسلام .

الفُضَيْل بنُ عِياض :

قال هارون الرشيد : ما رأت عيناي مثل الفضيل بن عياض ؛ قال لي وقد دخلتُ عليه : يا أمير المؤمنين ، فرِّغ قلبك للحزن والخوف حتى يسكناه ، فيقطعاك عن معاصي الله، ويباعداك من عذاب النار[٢] .

قال يحيى بن أيوب : « دخلتُ مع زافر بن سليمان على الفضيل بن عياض بالكوفة ، فإذا الفضيل وشيخٌ معه ، قال : فدخل زافرٌ وأقعدني على الباب . قال زافر : فجعل الفضيل ينظر إليّ ، ثم قال : يا أبا سليمان ، هؤلاء أصحاب الحديث ، ليس شيءٌ أحبّ إليهم من قرْب الإسناد ، ألا أخبرك بإسنادٍ لا شكَّ فيه ، رسول الله ﷺ ، عن جبريل عليه السلام ، عن الله تعالى : ﴿**نارًا وَقُودُها الناسُ والحجارةُ عليهَا مَلائكةٌ غِلَاظٌ شِدادٌ...**﴾- قرأ الآية - فأنا وأنت يا أبا سليمان[٣] من الناس . قال : ثم غشي عليه وعلى الشيخ ، وجعل زافر ينظر إليهما . قال : ثم تحرّك الفضيل ، فخرج زافر وخرجتُ معه ، والشيخ مغشّي عليه »[٤].

---

(١) إحياء علوم الدين ١٩٥/٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٣٨/٨ ، والجامع لشعب الإيمان .

(٣) يعني : زافر بن سليمان .

(٤) « ثلاث شعب من الجامع لشعب الإيمان » ٢٦٠/١ .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة ، لا يزال يعظ ويذكّر ويبكي ، حتى لكأنه يودّع أصحابه ، ذاهب إلى الآخرة ، حتى يبلغ المقابر فيجلس ، فكأنه بين الموتى جلسَ ، من الحزن والبكاء ، حتى يقوم ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها[1] .

وعن إسحاق بن إبراهيم : ما رأيتُ أحدًا أخوف على نفسه ، ولا أرجى للناس من الفُضيل .

وقال الفضيل رحمه الله : ما أَغْبِطُ مَلَكًا مقرّبًا ، ولا نبيًّا مرسلًا يعاين القيامة وأهوالها ، ما أغبِطُ إلا مَن لم يكُنْ شيئًا .

وقال رحمه الله : طوبى لمن استوحش مِن الناس ، وكان الله أنيسَه ، وبكى على خطيئته .

عليٌّ بن الفضيل .. قتيلُ القرآن :

قال محمد بن بشر المكّي : كنا يومًا ماضينَ مع علي بن الفضيل ، فمررنا بمجلسٍ بني الحارث المخزومي ومعلِّمٌ يعلم الصبيان ، قال : ويقرأ ﴿ **لِيَجْزِيَ الذينَ أساءُوا بِمَا عملُوا ويَجْزيَ الذينَ أحْسَنُوا بالحُسْنَى** ﴾ [النجم : ٣١] ، فشهِق ابنُ الفضيل شهقةً خرّ مغشيًّا عليه ، فجاء الفضيل فقال : بأبي قتيلَ القرآن . ثم حُمِلَ ، فحدثني بعض من حَمله أنَّ الفضيلَ أخبره أن عليًّا ابنه لم يُصلِّ ذلك اليوم الظهرَ ، ولا العصر ، ولا المغرب ، ولا العشاء ، فلما كان في جوف الليل أفاق[2] .

« وقال أبو بكر بن عياش : صلَّيْتُ خلف فضيل بن عياض صلاة المغرب ، وإلى جانبي عليٌّ ابنه ، فقرأ الفضيل ﴿ **أَلهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ﴾ ، فلما بلغ ﴿ **لَتَرونَّ الجَحِيمَ** ﴾ [التكاثر : ٦] ، سقط عليٌّ مغشيًّا عليه ، وبقي الفضيل

---

(١) روضة الزاهدين لعبد الملك الكليب ص٣٨ .

(٢) الجامع لشعب الإيمان .

لا يقدر يجاوز الآية ، ثم صلى بنا صلاة خائفٍ ، قال : ثم رابطتُ عليًّا فما أفاق إلا في نصف الليل .

وكان عليٌّ يومًا عند ابن عيينة ، فحدّث سفيانُ بحديثٍ فيه ذكْر النار ، وفي يد عليٍّ قرطاس في شيءٍ مربوط ، فشهق شهْقةً ووقع ، ورمىٰ بالقرطاس أو وقع مِن يده ، فالتفت إليه سفيانُ ، فقال : لو علمتُ أنك هاهنا ما حدّثتُ به . فما أفاق إلا بعد ما شاء الله »[١].

وفي رواية : قال أبو بكر : « فقلت في نفسي : ويحك ، أما عندك من الخوف ما عند الفضيل وعليٍّ ؟! فلم أزل أنتظر عليًّا ، فما أفاق إلى ثلثٍ من الليل بقي » .

« قال الفضيل بن عياض : بكى عليٌّ ابني ، فقلت : يا بني ، ما يُبكيكَ ؟ قال : أخاف ألا تجمعَنا القيامةُ »[٢].

وقال الفضيل : أشرفتُ ليلةً علىٰ عليٍّ ، وهو في صحْن الدار وهو يقول : النار ، ومتى الخلاص مِنَ النار ؟! وقال لي : يا أبَهْ ، سَلِ الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة . ثم قال : لم يزلْ منكسرَ القلبِ حزينًا . ثم بكىٰ الفضيل ، ثم قال : كان يساعدني على الحزن والبكاء . يا ثمرة قلبي ، شكَرَ الله لك ما قد علمه فيك[٣].

قال الفضيل : قال لي ابن المبارك : يا أبا عليّ ، ما أحسنَ حالَ مَنِ انقطع إلى الله ! فسمِع ذلك عليٌّ ابني ، فسقط مغشيًّا عليه[٤].

---

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص٢١ لابن رجب الحنبلي – طبع : مكتبة الإيمان ، والسير ٨/٤٤٥ .
(٢) الحلية ٨/٢٩٧ ، وطبقات الأولياء ٢٧٠ ، والسير ٨/٤٤٤ .
(٣) الحلية ٨/٢٩٩ ، والسير ٨/٤٤٤ ، ٤٤٥ .
(٤) السير ٨/٤٤٤ .

قال محمد بن ناجية : صليتُ خلف الفضيل ، فقرأ ﴿ **الحاقة** ﴾ في الصبح ، فلما بلغ إلى قوله : ﴿ **خذُوهُ فغُلُّوهُ** ﴾ ، غلبه البكاءُ ، فسقط ابنُه عليٌّ مغشيًّا عليه[(١)].

« قال الخطيب : مات قبل أبيه بمدَّةٍ ، من آيةٍ سمِعَها تُقْرأ ، فغُشي عليه وتُوفِّي في الحال »[(٢)].

« وقال إبراهيم بن بشار : الآية التي مات فيها عليُّ بن الفضيل في الأنعام : ﴿ **وَلَوْ تَرَى إذْ وُقِفُوا على النارِ فقالوا يا لَيْتَنَا نُرَدُّ** .. ﴾ الآية [الأنعام: ٢٧]، مع هذا الموضع مات، وكنتُ فيمن صلى عليه، رحمه الله »[(٣)].

الموتُ مِن خشية الله :

يالله .. ما أرق هذه الأفئدة . لله درُّك يا ابن الفضيل .. يا مَن ضربتَ - سيدي - أروعَ الأمثلةِ في علو الهمة في الخوف .. يا ثمرة قلب الفضيل ، ويكفيك هذا النعت ، بل يا قتيل القرآن وقتيل جهنم ... وعلى دربك سار أناسٌ مِن قبلك ومِن بعدك !

« فعن يعلى بن حكيم قال : قال سعيد بن جبير : ما رأيتُ أرعى لحُرْمة هذا البيت ، ولا أحرص عليه مِن أهل البصرة ؛ لقد رأيتُ جاريةً ذات ليلةٍ ، تعلّقتْ بأستار الكعبة ، تدعو وتضرع وتبكي حتى ماتت »[(٤)].

وانظر إلى أبي حاجب البصري (**زرارة بن أوفى**) قاضي البصرة :

« قال بهز بن حكيم : أمّنا زرارة بن أوفى في مسجد بني قشير ، فقرأ

---

(١) السير ٨/٤٤٤ .
(٢) السير ٨/٤٤٣ .
(٣) السير ٨/٤٤٦ ، وطبقات الصوفية ٢٧١ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٣٣٤ ، وقال الذهبي : إسنادها صحيح .

« المدثر » ، فلما انتهى إلى هذه الآية : ﴿ **فإذا نُقِر في الناقور** ﴾ [المدثر : ٨] ، خرّ ميتًا . قال بهز : فكنت فيمن حضره »[١] .

وعن إسماعيل بن نصر العبدي قال : نادىٰ منادٍ في مجلس صالح المرّي : ليقُمْ الباكون والمشتاقون إلى الجنة. فقام أبو جهث[٢]، فقال : اقرأ يا صالح: ﴿ **وقَدِمْنَا إلى مَا عمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فجعلْنَاهُ هَباءً مَنْثُورًا أصحابُ الجنةِ يومئذٍ خيرٌ مستقرًّا وأحسن مَقيلًا** ﴾ [الفرقان : ٢٣ ، ٢٤] ، فقال أبو جهث : ردّدْها يا صالح . فما فرغ من الآية حتى مات أبو جهث[٣] .

وقال أبو طارق : شهدتُ ثلاثة رجالٍ أوْ نحوهم ماتوا في مجلس الذكر يمشون بأرجلهم صحاحًا إلى المجالس ، وأجوافهم - والله - قرحة ، فإذا سمعوا الموعظة انصدعتْ قلوبهم فماتوا . قال يحيى بن بسطام : فقلت لابن طارق : مجتمعين ؟ قال : لا ، بل متفرِّقين في المجلس ؛ الرجل والرجلان ، ونحو ذلك[٤].

العمىٰ مِن كثرة البكاء :

والعمى كما قال عامر - لما قيل له : تعمى عينك -: تلك إذًا لها شهادة .

وممّن رزقهم الله أعينًا هطّالة بالبكاء حتى عميتْ :

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد عن أبي خباب القصّاب ، وابن سعد في الطبقات ، والحاكم في المستدرك ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٢٣٠/٣ ، والذهبي في السير ٥١٦/٤ ، وقال : صحّ ، وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين .

(٢) في صفة الصفوة : أبو جهير مسعود الضرير .

(٣) الجامع لشعب الإيمان ، وصفة الصفوة ٣٣٣/٣ .

(٤) ثلاث شعب من الجامع لشعب الإيمان ٢٤٨/١ .

العلاء بن زياد :

وكان ربانيًّا تقيًّا قانتًا لله ، بكّاءً من خشية الله .

قال قتادة : كان العلاء قد بكى حتى غشي بصره . وكان إذا أراد أن يقرأ أو يتكلم جهشه البكاء ، وكان أبوه قد بكى حتى عمي[(١)] .

وعليٌّ بن بكار :

قال يوسف بن مسلم : بكى علي بن بكار حتى عمي ، وكان قد أثَّرتِ الدموع في خدَّيْه[(٢)] .

« وعن أبي زكريا الحلقاني الهمداني : كنا عند علي بن بكار ، فمرّت سحابة ، فسألتُه عن شيءٍ ، فقال لي : اسكت ، حتى تَجوزَ هذه السحابة ، أما تخشىٰ أن يكون فيها حجارةٌ نرمىٰ بها ؟! »[(٢)] .

والترمذيّ :

« قال عمر بن عَلّك : مات البخاري فلم يخلّف بخُراسَان مثلَ أبي عيسى في العلم، والحفظ، والورع، والزهد . بكى حتى عَمِيَ، وبقي ضريرًا سنين »[(٣)] .

الغَشْيُ من كَثرة البُكَاء :

قال حوشب لمالك بن دينار : رأيت كأن مناديًا ينادي : الرحيلَ الرحيلَ ، فما ارتحل إلا محمد بن واسع . فبكى مالكٌ وخرّ مغشيًّا عليه .

وعبد الله بن وهب إمام أهل مصر :

« قال خالد بن خداش : قُرِىء على عبد الله بن وهب كتابُ أهوالِ

---

(١) السير ٢٠٢/٤ ، ٢٠٣ .

(٢) السير ٥٨٥/٩ ، والسير ٥٨٤/٩ .

(٣) السير ٢٧٣/١٣ ، وتذكرة الحفاظ ٦٣٤/٢ ، وتهذيب التهذيب ٣٨٩/٩ ، وفيه : « عمران بن علان » بدلًا من : « عمر بن علك » .

يوم القيامة (تأليفه) ، فخرّ مغشيًّا عليه ، قال : فلم يتكلّم بكلمةٍ ، حتى مات بعد أيام ، رحمه الله تعالى »[١].

الشَّافعيّ :

« قال سويد بن سعيد : كنتُ عند سفيان ، فجاء الشافعي فسلّم وجلس ، فروى ابن عيينة حديثًا رقيقًا ، فغُشي على الشافعي ، فقيل : يا أبا محمد ، مات محمد بن إدريس . فقال ابن عيينة : إن كان مات ، فقد مات أفضل أهل زمانه »[٢].

وسيمُ البلخيّ :

قال خالد بن خداش : كنتُ أقعدُ إلى وسيم البلخي عمِّ قتيبة – ابن سعيد – وكان أعمى ، وكان يحدّث ويقول : أوه ! القبر وظلمته ، واللحد وضيقه ، كيف أصنع ؟! ثم يُغمى عليه[٣].

سعيد بن عبد العزيز :

قال أبو النضر إسحاق بن إبراهيم : كنت أسمع وقْعَ دموعِ سعيد بن عبد العزيز على الحصير في الصلاة[٤].

وقال أبو عبد الرحمن الأسدي : قلت لسعيد بن عبد العزيز : ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ؟ فقال : يا ابن أخي ، وما سؤالك عن ذلك ؟ قلت : لعلّ الله أن ينفعني به . فقال : ما قمتُ إلى صلاةٍ إلّا مُثِّلَتْ لي جهنم[٥].

---

(١) « السير » ٢٢٦/٩ ، و « الانتقاء » لابن عبد البر ص٤٩ .
(٢) السير ١٧/١٠ ، ١٨ ، وحلية الأولياء ٩٥/٩ ، وتاريخ ابن عساكر ، ومناقب الرازي ١٧ ، ١٨ .
(٣) الجامع لشعب الإيمان ، وثلاث شعب من الجامع ٢٥٦/١ .
(٤) (٥) السير ٣٤/٨ .

عمر بن عبد العزيز :

عن المغيرة بن حكيم قال : قالت لي فاطمة بنت عبد الملك ، امرأةُ عمر بن عبد العزيز : يا مغيرة ، إنه يكون في الناس مَن هو أكثر صلاةً وصيامًا من عمر ، وما رأيتُ أحدًا قطُّ أشدَّ فَرَقًا مِن ربِّه مِن عمر ؛ كان إذا صلى العشاء قعد في المسجد ، ثم يرفع يديْه ، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه ، فلم يزل رافعًا يديْه يبكي حتى تغلبه عيناه[(١)] .

وقال النضر بن عربي : دخلتُ على عمر بن عبد العزيز ، فكان ينتفض أبدًا ، كأنّ عليه حزن الخلق[(٢)].

وعن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة قال : شهدتُ عمرَ بن عبد العزيز ومحمدُ بن قيس يحدثه ، فرأيت عمر يبكي حتى اختلفتْ أضلاعه[(٣)].

وعن ميمون بن مهران أن عمر بن عبد العزيز أُتي بسلْقٍ وأقراصٍ فأَكَلَ ، ثم اضطجع على فراشه ، وغطَّى وجهه بطرف ردائه ، وجعل يبكي ويقول: عبدٌ بطيءٌ بطين[(٤)] يتباطأ ، ويتمنَّى على الله منازل الصالحين[(٥)]؟!

قال المُفضَّل بن غسَّانَ الغلابي : كان عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله لا يجفّ دمعه من هذا البيت :

ولا خيرَ في عيشِ امرئٍ لم يكنْ لَهُ مِنَ اللهِ في دارِ القرارِ نَصِيبُ[(٦)]

---

(١) الزهد لأحمد ص٣٦٣ ، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/٥٧١ ، وأبو نعيم في الحلية ٥/٢٦٠ ، والسير للذهبي ٥/١٣٧ .

(٢) السير ٥/١٣٧ .

(٣) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ١/٥٨٤ .

(٤) البطين : العظيم البطن ، والأكول .

(٥) المعرفة والتاريخ ١/٥٨٥ ، وثلاث شعب من الجامع ١/٢٦٧ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٥/١٣٨ .

وعن عبد السلام ، مولى مسلمة بن عبد الملك قال : بكى عمر ابن عبد العزيز ، فبكتْ فاطمة ، فبكى أهل الدار ، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما تجلّى عنهم العَبْر ، قالت له فاطمة : بأبي أنت يا أمير المؤمنين ، مم بكيتَ ؟ قال : ذكرتُ يا فاطمة مُنصَرف القوم مِن بين يدي الله عز وجل ، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير . قال : ثم صرخ وغُشي عليه[١] .

الأوزاعي :

قال العباس بن الوليد : كان الأوزاعي إذا أخَذ في ذكْر المعاد ، أقول في نفسي : أتُرى في المجلس قلبٌ لم يبكِ[٢] .

وقال أبو مسهر : كان الأوزاعي يُحيي الليلَ صلاةً وقرآنًا وبكاءً ، وأخبرني بعضُ إخواني مِن أهل بيروت أن أمَّه كانت تدخل منزلَ الأوزاعي ، وتتفقَّد موضع مصلَّاه ، فتجدُه رَطبًا مِن دموعه من الليل[٣] .

الحسن بن صالح بن حيّ :

قال يحيى بن أبي بكير : قلت للحسن بن صالح : صِفْ لنا غسلَ الميتِ . فما قدَر عليه من البكاء[٤] .

وقال الصّلت بن مسعود : خرج الحسن بن صالح بن حي يومًا من بيتي ، فنظر إلى جرادٍ يطير ، فقال : ﴿ **يخْرجُونَ مِنَ الأجْدَاثِ كأنَّهُمْ جَرادٌ مُنتَشِرٌ** ﴾ [القمر : ٧] ، ثم خرّ مغشيًّا عليه[٥] .

---

(١) روضة الزاهدين ص٣٦ .
(٢) السير ٧/١١٠ .
(٣) السير ٧/١٢٠ .
(٤) السير ٧/٣٦٨ .
(٥) ثلاث شعب من الجامع ١/٢٣٣ .

« وقال عبيد الله بن موسى : كنتُ أقرأ على عليٍّ بن صالح ، فلما بلغتُ إلى قوله : ﴿ **فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ** ... ﴾[1]، سقط الحسن بن صالح يخور كما يخور الثور ، فقام إليه عليّ فرفعه ، ومسَح على وجهه ، ورشّ عليه الماء ، وأسنده إليه »[2].

منصورُ بن المُعْتَمِر :

قال زائدة بن قدامة : كان منصور بن المعتمر إذا رأيته قلت : رجلٌ قد أُصيبَ بمصيبةٍ ، ولقد قالت له أمُّه : ما هذا الذي تصنع بنفسك ، تبكي الليل عامَّتَهُ ، لا تكاد أن تسكت ! لعلك يا بُنّي أَصبتَ نفسًا ، أقتلت قتيلًا ؟ فقال : يا أمَّهْ ، أنا أعلم بما صنعتْ نفسي[3].

الجـــوني :

قال أبو عمران الجوني : أرتني أمِّي موضعًا من الدار قد انحفر ، فقالت : هذا موضعُ دموع أبيك .

إمامُ أهل السُّنَّة أحمدُ بن حنبل :

قال ابنه صالح : كنتُ أسمعُه كثيرًا يقول : اللهم سلِّمْ ، سلِّمْ .

« قال المروذي : كان أبو عبد الله إذا ذكر الموت خنقتْه العَبرة ، وكان يقول : الخوف يمنعني أكْلَ الطعام والشراب ، وإذا ذكرتُ الموت هانَ عليّ كلُّ أمْر الدنيا ، إنما هو طعامٌ دون طعامٍ ، ولباسٌ دون لباسٍ ، وإنها أيام قلائل ، ما أعدلُ بالفقر شيئًا ، ولو وجدتُ السبيل لخرجتُ ، حتى لا يكون لي ذكرٌ »[4].

---

(١) مريم : ٨٤ وتتمتها : ﴿ إنما نَعُدُّ لهمْ عدًّا ﴾ .

(٢) الكامل لابن عدي ٧٢٤/٢ ، والسير للذهبي ٣٦٤/٧ .

(٣) الهم والحزن لابن أبي الدنيا ، والحلية ٤١/٥ ، والذهبي في السير ٤٠٦/٥ .

(٤) السير ٢١٥/١١ ، ٢١٦ .

قال الإمام أحمد : « لقد رأيتُ قومًا صالحين ، رأيت عبد الله بن إدريس وعليه جُبَّةٌ من لبودٍ قد أتتْ عليها سنون ، رأيت أبا داود الحفري وعليه جُبَّة مُخرَّقةٌ ، قد خرج منها القطن ، وهو يصلي فيترجح من الجوع ، ورأيت أيوب النجار وقد خرج مِن كلِّ ما يملكه ، وكان في المسجد شابٌّ مصفر ، يقال له : العوفي ، يقوم من أول الليل إلى الصباح ، يبكي »[١].

محمد بن كعب القرظي :

« قالت أمُّ محمد بن كعب القرظي له : يا بُنَيَّ ، لولا أني أعرفك طيِّبًا صغيرًا وكبيرًا ، لقلت : إنك أذنبتَ ذنبًا موبقًا ؛ لما أراك تصنع بنفسك . قال : يا أمَّاه ، وما يُؤمِّنُني أن يكون اللهُ قد اطّلع عليّ ، وأنا في بعض ذنوبي فمقتني ، وقال : اذهب ، لا أغفر لك »[٢].

الضَّحَّاك بنُ مُزَاحِم :

قال قيْس بن مسلم : « كان الضَّحّاك إذا أمسىٰ بكىٰ ، فيُقال له ، فيقول : لا أدري ما صعِدَ اليوم مِن عملي » .

محمد بن المُنكَدِر :

قال يحيى بن الفضل الأنيسي : سمعتُ بعضَ مَن يذكر عن محمد بن المنكدر ، أنه بينَا هو ذات ليلةٍ قائمٌ يصلي إذ استبكى ، فكثُر بكاؤه حتى فزع له أهله ، وسألوه فاستعجم عليهم ، وتمادى في البكاء ، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه ، فقال : ما الذي أبكاك ؟ قال : مرتْ بي آيةٌ . قال : وما هي؟ قال: ﴿... **وبَدَا لهم مِنَ اللَّهِ ما لم يكونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾ [الزمر: ٤٧] . فبكى أبو حازم ، واشتد بكاؤهما[٣].

---

(١) المدهش لابن الجوزي ٣١٢ .
(٢) السير ٥/٦٥ - ٦٦ .
(٣) السير ٥/٣٥٥ .

هارونُ بنُ رِئاب :

« قال جعفر بن سليمان : عُدتُ هارون بنَ رئابٍ وهو يجود بنفسه ، فما فقدتُ وجْهَ رجلٍ فاضل إلا رأيتُه عنده ، فقال محمد بن واسع : كيف تجدك ؟ فقال : هو ذا أخوكم ، يُذهَب به إلى النار ، أو يعفو الله »[١].

يحيىٰ بنُ أبي كثير :

« قال ابن حبان : كان مِنَ العباد ، إذا حضر جنازةً لم يتعشَّ تلك الليلة ، ولا يكلِّمه أحدٌ »[٢].

يزيدُ بن هارون :

قال الحسن بن عرفة العبدي : رأيتُ يزيد بن هارون بواسط وهو من أحسن الناس عينَيْن ، ثم رأيته بعينٍ واحدةٍ ، ثم رأيتُه وقد ذهبتْ عيناه ، فقلت له : يا أبا خالدٍ ، ما فعلتِ العينانِ الجميلتانِ ؟ قال : ذهب بهما بكاءُ الأسحار[٣].

حَمَّادُ بن عبد ربِّه :

« كان رحمه الله إذا جلس ، جلس مُستوفِزًا على قدمَيْه ، فيُقال له : لو اطمأننتَ ؟ فيقول : تلك جلسة الأمن ، وأنا غير آمنٍ ، إذْ عصيت الله تعالى »[٤].

حسَّانُ بن أبي سِنانَ :

قال حمّاد بن زيد : كنتُ إذا رأيت حسّان بن أبي سنان كأنه أبدًا

---

(١) السير ٢٦٤/٥ .
(٢) السير ٢٨/٦ .
(٣) تاريخ بغداد ٣٤١/١٤ ، وصفة الصفوة ١٨/٣ .
(٤) الإحياء ١٩٤/٤ .

مريضٌ . قال أبو جعفر : فذكرتُ ذلك لمخلد بن حسين ، فقال : هكذا كان ؛ إذا رأيته كأنه أبدًا ناقةٌ[١] .

قال محمد بن سوقة : إنّ المؤمنَ الذي يخاف الله لا يسمن ، ولا يزداد لونه إلا تغيُّرًا .

وعن أبي هارون موسى قال : كان عون يحدثنا ولحيتُه ترتشُّ بالدموع .

زيادُ بن جَرير :

عن حفص بن حميدٍ قال : قال لي زياد بن جرير : اقرأ عليَّ . فقرأتُ عليه ﴿ **ألمْ نشرَحْ لَكَ صدْرَك ووضعْنَا عنكَ وِزْرَكَ الذي أنقضَ ظهْرَكَ** ﴾ ، فقال : يا ابن أمِّ زياد ، أنقض ظهر رسول الله ﷺ . فجعل يبكي كما يبكي الصبيُّ .

سهْلُ بن عليّ المروزي :

قال عنه أبو حاتم : روى عنه المراوزة كلامَه ، وتأدَّبُوا بِوَرَعِه .

قال حفص بن حميد : رأيتُ سهل بن علي في المسجد يجول كأنه أبْله ؛ من الخوف ، وهو يقول : النار ، النار . وترعد فرائصُه ، حتى أخذني البكاءُ[٢] .

عبد العزيز بنُ سُليمان :

كان رحمه الله إذا ذكَر القيامة صرخ كما تصرخ الثَّكْلى ، ويصرخ الخائفون مِن جوانب المسجد ، وربما رُفِع الميِّتُ والميِّتانِ مِن جوانب مجلسه[٣] .

---

(١) روض الزاهدين ص٣٥ .

(٢) ثلاث شعب من الجامع لشعب الإيمان ١/٢٢٣ .

(٣) الحلية ٦/٢٤٣ ، وصفة الصفوة ٣/٣٧٧ .

عُتبةُ الغـلامُ :

قال عنبسة الخوَّاص : كان عتبة الغلام يزورني ، فربَّما بات عندي . قال : فبات عندي ذاتَ ليلةٍ فبكَىٰ في السحر بكاءً شديدًا ، فلما أصبح قلت : لقد فزَّعْتَ قلبي منذ الليلة ببكائك ، فيم ذاك يا أخي ؟ فقال : يا عنبسةُ ، واللهِ إني ذكرتُ يوم العرض على الله . ثم مالَ ليسقُط فاحتضنْتُه ، فجعلتُ أنظر إلى عينيْه يتقلبان ، قد اشتدت حمرتُهما ، وجعل يخور ، فناديته : عتبة ، عتبة ، أجبني . قال : فمكث ثلاثًا لا يجيبني . ثم هَذَى[1] ، فناديتُه : عتبة ، عتبة ، فأجابني بصوتٍ خفيٍّ : قطّع ذكْرُ العرض على الله أوصالَ المحبِّين . قال : ثم جعل يحشرج حشْرَجَة الموت ، ويقول : أتراك تعذِّب مُحِبِّيك وأنت الحيُّ الكريم ؟! قال : فلم يزل يردِّدها حتى - والله - أبكاني[2] .

قال عتبة : لولا ما نُهينا عنه من تمنِّي الموت لتمنَّيتُه . فقال له رياح القيسي : ولِمَ تتمنَّىٰ الموت ؟ قال : لي فيه خُلَّتانِ حسَنتانِ . قلت : وما هما ؟ قال : الراحة من معاشرة الفُجَّار ، ورجاءٌ لمجاورة الأبرار . قال : ثم بكى وقال : أستغفرُ الله ؛ وما يُؤمنني أنْ يُقرن بيني وبين الشيطان في سلسلةٍ من حديدٍ ، ثم يُقذف بي في النار ؟! ثم غُشي عليه[3] .

عبد العزيز بن أبي روّاد :

قال عبد الله بن مرزوق : قلت لعبد العزيز بن أبي روّاد : ما أفضلُ العبادة ؟ قال : طُول الحزن في الليل والنهار .

السَّريّ السقطيّ :

قال الجنيد بن محمد : سمعت السَّري يقول : إني لأنظر في أنفي كلَّ

---

(١) أي : تكلم بكلامٍ غيرِ مفهومٍ .
(٢) الحلية لأبي نعيم ٦/٢٣٥ ، وصفة الصفوة ٣/٣٧٢ .
(٣) روضة الزاهدين ص٣٧ ، ٣٨ .

يوْم مرارًا ؛ مخافةَ أن يكون وجهي قد اسْودَّ[١].

وقال الجنيد : سمعتُ السري يقول : ما أحبُّ أن أموت حيث أُعْرف ، فقيل له : ولِمَ ذاك يا أبا الحسن ؟ قال : أخاف أن لا يقبلني قبري فأُفْتضح[٢] .

قال السري رحمه الله : شيئانِ مفقودانِ : الخوف المُزْعج ، والشَّوْق المغلق[٣]. أو المُقلِق .

وقال رحمه الله : « قلوب الأبرار معلقةٌ بالخواتيم ، وقلوب المقرَّبين معلقة بالسَّوابق ؛ أولئك يقولون : ماذا مِنَ الله سَبق لنا ؟ وهؤلاء يقولون : بماذا يُختم لنا ؟ »[٤].

وكان (**يحيى بن معاذ الرازي**) يقول : يا مَن ذكْرُه أعزُّ عليّ مِنْ كلِّ شيءٍ ، لا تجعلني بين أعدائك غدًا أذلَّ مِن كلِّ شيءٍ .

وقال (**الجُنَيْد**) : ما كان العبد أعلم بالله كان له أشدَّ خوفًا ، والخائفون على طبقاتٍ : خائف من الإجرام ، وخائف من الحسناتِ أن لا تُقبل ، وخائف من العواقب ؛ قال الله تعالى : ﴿ **ولا يخافُ عُقْبَاهَا** ﴾[٥] [الشمس : ١٥].

وقال رحمه الله : مَن كان اللهُ هَمَّه طالَ حزْنُهُ ، فقال الشبلي : لا

---

(١) ، (٢) أبو نعيم في الحلية ١١٦/١٠ ، والذهبي في السير ١٨٧/١٢ ، وابن تغربردي في النجوم الزاهرة ٣٣٩/٢ .

(٣) المغلق : هو الذي يلازم صاحبه . من غلق الرهن : إذا بقي في يد المرتَهِن لا يقدر راهنُه على تخليصه .

(٤) الحلية لأبي نعيم ١٢/١٠ ، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٣٧٩/٢ .

(٥) ثلاث شعب من الجامع ١٨٥/١ - ١٨٦ .

يا أبا القاسم ، بل مَن كان الله همَّه زال حزنُه .

قال البيهقي رحمه الله : قوْلُ الجنيد محمولٌ على ذكر الدنيا ، وقوْل الشِّبلي محمولٌ على الآخرة ، وقوْل الجنيْدِ محمولٌ على حزنِه عند رؤيةِ التقصير من نفسه في القيام بواجباته ، وقوْل الشبلي محمولٌ على سروره بما أُعطي من التوفيق في الوقت ، حتى جَعل الهمَّ همًّا واحدًا ، والله أعلم .

وقال الكتَّاني : روْعةُ ساعةٍ عند انتباه من غفلةٍ ، وانقطاعٌ من حظِّ النفسانية ، وارتعادٌ مِن خوفِ قطيعةٍ؛ أفضلُ من عبادة الثَّقَليْن .

وقال أحمد بن أبي الحواري ، ريحانة الشام : « أفضلُ البكاءِ : بكاءُ العبدِ على ما فاته من أوْقاته على غيرِ الموافقةِ ، أوْ بكاءٌ على ما سبَق له مِنَ المخالفة .

عمرو بن قيْس الملائي :

قال حفص بن غياث : لما احتضر عمرو بن قيس الملائي بكى ، فقال له أصحابه : عَلامَ تبكي ؛ فوالله لقد كنت غضيضَ العيْشِ أيّامَ حياتك ؟! فقال : والله ما أبكي على الدنيا ، وإنما أبكي خوْفًا مِن أن أُحْرم خيرَ الآخرة[1] .

أخي ، قال إبراهيم بن أدهم : الهوىٰ يُردي ، وخوف الله يُشفي ، واعلمْ أنما يزيل عن قلبك هواك إذا خفتَ مَنْ تعْلمُ أنه يراكَ .

أخي ، قال رسول الله ﷺ : « مَن خاف أَدْلَجَ ، ومَن أدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِل ، ألا وإنّ سِلْعَة اللَّهِ غاليةٌ ، ألا وإنَّ سلعة اللهِ الجنةُ »[2] .

---

(١) ثلاث شعب من الجامع ١/١٩٧ - ١٩٨ ، وصفة الصفوة ٣/١٢٥ ، وفيها : « تبغض » بدلًا من : « غضيض » .

(٢) صحيح : رواه أبو هريرة، وأخرجه الترمذي، والعقيلي في الضعفاء، والحاكم وصححه وأقره الذهبي .

داود الطائي :

قال رحمه الله : إن للخوف حركاتٍ تعْرَفُ في الخائفين ، ومقاماتٍ تُعرَف في المحبِّين ، وإزعاجاتٍ يُعرَف بها المشتاقون ، وأين أولئك ؟! أولئك هم الفائزون[١] .

رأى – رحمه الله – امرأةً تبكي على رأسِ قبر والدها ، وهي تقول : يا أبتاه ، ليتَ شعري ! أيَّ خَدَّيْكَ بدأ به الدُّودُ أوَّلًا ؟! فصعِق داودُ ، وسقَطَ مكانَه[٢] .

« قال شقيق البلخي : ليسَ للعبدِ صاحبٌ خيرًا من الهمّ والخوف : همٍّ فيما مضى من ذنوبه ، وخوفٍ فيما لا يدري ما ينزل به .

وقال سهل بن عبد الله التستري : لا يبلغ حقيقة الخوف ، حتى يخاف مواقع علْم الله فيه ، ويحزن على ذلك »[٣].

فتحٌ الموْصليّ يتقرَّب إلى الله بطول خوْفه وحُزْنه :

خرج فتح الموصلي إلى المصلَّى يوم الأضحى ، قال : فرجع فنظر إلى القتار[٤]، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: إلهي، تقرَّب المتقرِّبون إليك بقربانهم ، وإني متقرِّبٌ إليك بطول حزني يا محبوب . قال : ثم سقط مغشيًّا عليه ، فلما أفاق قال : إلى كمْ تردِّدني في أزِقَّة الدنيا محزونًا[٥]؟!

---

(١) الحلية ٣٣٦/٧ .

(٢) الإحياء ١٩٦/٤ .

(٣) ثلاث شعب من الجامع ٢١٥/١ .

(٤) القتار : دخان ذو رائحة خاصَّةٍ ، ينبعث من الطبخ أوْ الشواء ، أو العظم المحروق .

(٥) الهمُّ والحزن لابن أبي الدنيا ١٢/أ ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ١٨٨/٤ .

عابِـدٌ :

قال ابن السّماك : دخلتُ على عابدٍ ، فقالت أمُّه : لا تذكروا لابني شيئًا من أمْر جنَّةٍ ولا نارٍ لتقتلوه عليَّ ؛ فليس لي غيره . قال : فلما دخلنا عليه ، فإذا هو مُنكّسُ الرأس ، طويلُ الصَّمت ، فرفع رأسه فنظر إلينا ، ثم قال : إن للناس موقفًا لا بد أن يقفوه . قال : قلت : بيْن يدَيْ مَن ، رحمك الله؟ قال: فشهِق شهْقةً فمات. قال ابن السماك : فجاءت العجوز ، فقالت : قتلتم ابني . قال : فكنتُ فيمن صلَّى عليه ، رحمه الله[(١)] .

« قال سهل بن عبد الله : المريدُ يخافُ أن يُبْتَلى بالمعاصي ، والعارف يخاف أن يُبتَلى بالكفر .

وكان أبو يزيد البسطامي يقول : إذا توجهتُ إلى المسجد ، فكأن في وسطي زنارًا ، أخاف أن يُذهب بي إلى البيعة وبيت النار ، حتى أدخل المسجد ، فينقطع عني الزنار ، فهذا لي في كلّ يومٍ خمس مراتٍ »[(٢)] .

وقال الثوري لما سألوه عن بكائه : بكينا على الذنوب زمانًا ، فالآن نبكي على الإسلام[(٣)] .

محمد بن واسـع ... زيْنُ القرّاء :

قال جعفر : كنتُ إذا وجدتُ من قلبي قسوةً ، نظرت إلى وجه محمد ابن واسع نظرةً ، وكنت إذا رأيتُ وجه محمد بن واسع ، حَسِبْتُ أنّ وجهَهُ وجْهُ ثكْلَى .

---

(١) الحلية ٢٠٨/٨ .

(٢) إحياء علوم الدين ١٨١/٤ .

(٣) الإحياء ١٨٨/٤ .

وكان محمد بن واسع ، رحمه الله يقول : يا إخوتاه ، أتدرون أين يُذهَب بي ؟ يُذهب بي - والله الذي لا إله إلا هو - إلى النار ، أو يعفوَ الله عني .

بِشْرُ بن منصور :

قال عبد الرحمن بن مهدي : قال بشر بن منصور : إني لأذكر الشيءَ مِن أمْر الدنيا ، أُلهي به نفسي عن ذكْر الآخرة ، أخاف على عقلي[١] .

يحيى البَكّاءُ :

قُرىء عند يحيى البكاء ﴿ **ولوْ ترى إذْ وُقِفُوا على رَبِّهم ...** ﴾ الآية [الأنعام: ٣٠]، فصاح صيحة مكث منها مريضًا أربعة أشهرٍ ، يُعادُ من أطرافِ البصرة[٢] .

صالحُ المرّيُّ :

قال عبد الرحمن بن مهدي : جلستُ مع سفيان الثوري في مسجد صالح المريّ ، فتكلم صالحٌ ، فرأيت سفيان الثوري يبكي ، وقال : ليس هذا بقاصٍّ ، هذا نذيرُ قومٍ[٣] .

قال صالح : قرأتُ على رجلٍ من المتعبدين ﴿ **يومَ تُقلّبُ وجُوهُهُمْ في النّارِ يقولونَ يا ليْتَنا أطعْنَا اللّهَ وأطعْنَا الرَّسُولَا** ﴾ [الأحزاب : ٦٦] ، فصعِق ثم أفاق ، فقال : زدني يا صالح ؛ فإني أجد غمًّا . فقرأتُ ﴿ **كُلَّما أرادُوا أنْ يخرُجُوا منهَا أُعيدوا فيها ...** ﴾ الآية [السجدة : ٢٠] فخرّ ميّتًا[٤] .

---

(١) روضة الزاهدين ص٣٢ .
(٢) الإحياء ١٩٤/٤ .
(٣) روضة الزاهدين ص٣٧ .
(٤) الإحياء ١٩٦/٤ .

عابِــدٌ :

قال عَطاء : خرجنا مع عُتْبة الغلام وفينا كُهُولٌ وشُبَّان ، يصلُّون صلاةَ الفجر بطهور العشاء ، قد تورّمتْ أقدامُهم مِن طول القيام ، وغارتْ أعينُهم في رؤوسهم ، ولصقَتْ جلودُهم على عِظامهم ، وبقَيتْ العروقُ كأنها الأوتار ، يُصبحون كأن جلودَهم قشور البطيخ ، وكأنهم قد خرجوا من القبور يُخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين ، فبينما هم يمشون إذْ مرّ أحدهم بمكانٍ فخرّ مَغشيًّا عليه ، فجلس أصحابه يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا ، فجاءوا بماء فمسحوا وجهه فأفاق ، وسألوه عن أمْره ؟ فقال : إني ذكَرْتُ أني كنتُ عصيتُ اللّهَ في ذلك المكان[1].

قصَّة ابنِ السّمّاكِ معَ عابدٍ :

قال ابن السماك : « ذُكر لي رجلٌ بعبادانَ قد رفض الدنيا ، وأقبل على الآخرة جدًّا واجتهادًا ، فأتيتُ « عبادان » فسألت عنه فوصف لي دارُه ... فدخلتُ البيت ، فإذا أنا برجلٍ قد نحل من غير سقمٍ ، وقد احتفر قبرًا عند رجلَيْه ، وقد دلّى رجلَيْه فيه ، وفي يده خوص يشقُّهُ وهو يتلو هذه الآية ﴿ **أمْ حَسِبَ الذينَ اجترحُوا السَّيِّئاتِ أن نجعلَهُم كالذينَ آمنوا وعمِلُوا الصَّالحاتِ سواءً محياهُم ومَمَاتُهُم سَاءَ ما يحكُمُونَ** ﴾ [الجاثية : ٢١] بصوتٍ حزينٍ ، فسلّمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، وقال : مِن إخواني أنت ؟ قلت : نعم ، ولست من أهل البصرة ، ولا من أهل « عبادان » . قال : فمن أين أنت ؟ قلت : مِن أهل الكوفة . قال : فما اسمك ؟ قلت : محمد بن السماك . قال : لعلك الواعظ ؟ قلت : نعم . قال : فأخذ يديّ بيدَيْه جميعًا ، ثم قال لي : مرحبًا ، وحيّاكَ اللهُ يا أخي بالسَّلام ، ومتّعَنا وإيَّاك في الدنيا بالإخوان . يا أخي ، ما زالتْ نفسي متطلِّعة إلى لقائِك ، تحبُّ

---

(١) الإحياء ٤/١٩٥ - ١٩٦ .

أن تعرِضَ داءَها على دوائك . أُعلمك يا أخي أنَّ بي جرحًا قديمًا قد أعيَى المعالجين قَبْلَك ، فتأنّاه برفقك ، وألصق عليه ما تعلم أنه يلائمه مِن مراهمك . قال : فعلمت أن الرجل يريد أن أعِظَه ، فقلت : يا أخي ، وهل يداوي مثلي مثلَك ، وجرحي أنغلُ[1] مِن جرحك ، وذنبي أعظم من ذنبك ؟! فقال : سألتك بالله إلا ما وعظتني . فقلت له : يا أخي ، قد علمتَ أن ذنبك الذي أذنبتَ لم يُمْح ، وأن لذاذتك لم تبقَ ، وأنَّ الموت يطلبك صباحًا ومساءً ، وأنك تصير غدًا إلى ضيق اللُّحود ، وظلمة القبور ، ومساءَلةِ منكر ونكير . فلما قلت له ذلك شهق شهقة خرّ في قبره ، يخور كما يخور الثور إذا وُجِيَ في منْحَره ، وأقبلتِ امرأته وابنته يبكيانِ من وراء الحجاب ويقولان : سألناك بالله لا تزدْه شيئًا فتقتلَه علينا . فأفاق ، فقال : يا أخي ، قد وافق دواؤك دائي ، ولصق مرهمك بجرحي . أخي ابن السماك ، زدني . فقلت له : يا أخي ، إن أهلك وولدَك قد حلّفوني أني لا أزيدك شيئًا . فأقبل عليهم وقال : اعلم يا أخي أنه ليس أحدٌ أشدّ عليّ وبالًا ، ولا أعظم جُرْمًا مني ، إذا وقفتُ بين يدي ربي من أهلي وولدي . فقلتُ : يا أخي ، ما بعد ظلمةِ القبور ، وضيقِ اللحود ، ومساءلة مُنكَر ونَكِير إلا الطَّامَّة . قال : وما هي يا ابن السماك ؟ فقلت له : إذا أخذ إسرافيل ، يعني في نفخ الصور ، وبُعثر ما في القبور ، وجئنا نحن بأثقالِنا تُحمَل على الظهور ، فكم يا أخي في ذلك اليوم من منادٍ ينادي بالويل والثبور ! وأعظمُ من ذلك أيضًا توبيخُ الرَّبِّ إيَّانا عند قراءة السِّيئات ، التي قد أحصىٰ عليّ وعليك فيه النقيرَ والفتيلَ والقطميرَ ، وملائكةٌ مُتَّزِرُون بإزار من نارٍ ، غِضَابٌ لغضبِ الرحمن ، ينتظرون ما يُقال لهم بالغضب : ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ** ﴾ [الحاقة : ٣٠]، قال : فشهِق شهْقة فخرّ في قبره ، كأنه ثور قد وُجِيَ في

(١) النغل : الفساد . النهاية ٥/٨٨ .

منحـره ، وبال ، فعرفتُ بالبول ذهابَ عقْلِه ، فأقبلت ابنته فاجتذبته ، وأسندتْه إلى صدرها ، ومسحتْ وجهه بكمها ، وهي تقول : بأبي وأمي عينيْنِ طال ما سهرتَا في طاعة الله ! بأبي وأمِّي عينيْن طال ما غضَّتَا عن محارم الله ! وأفاق ، فقال لي : عليك السلام يا ابن السماك ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله . وشهق الثالثة ، فظننتُ مثل الأُولَيَيْنِ ، فحرّكتُه فإذا الرجل قد فارق الدنيا »[1] .

للهِ درُّهم ، ودرُّ مَن سبقهم ! فقد حفر الربيع بن خُثَيْم قبرًا كان ينزل إليه في اليوم مراتٍ ، ثم إذا خرج يقول : يا ربيع ، ها قد خرجت ، فاعملْ لقبر إنْ نزلتَ فيه تقول : ﴿ **ربّ ارْجعُون** ... ﴾ [المؤمنون : ٩٩]، إلى يوم القيامة ، ولا تُجاب .

وهاكَ قصةً أخرى نختم بها :

منصـور بن عمّار الواعظ ، وعابدٌ من واسـط :

قال منصور بن عمّار : « قال لي رجل بالشام : يا أبا السري ، عندنا رجلٌ من العُبّاد من أهل واسط العراق ، رجلٌ لا يأكل إلا مِن كَدِّ يديْه ، وقدْ دبرت مِن سفِّ الخُوص والاعتمال صفحةُ يديْه ، ولو رأيته لوقذك النظر إليه ، فهل لك أن تمضي بنا إليه ؟ قال : قلت : نعم ، فأتيناه فدققْنَا عليه بابه ، فخرج إلى الباب ، فسمعته يقول : اللهم إني أعوذ بك ممّن جاءَ ليشغلني عمّا أتلذّذ به من مناجاتك . ثم فتحنا الباب فدخلنا ، وإذا رجلٌ يُرٰى به الآخرة ، وإذا قبرٌ محفور ، ووصيةٌ قد كتبها في الحائط ، وكساؤه قد أعدّتْ لكفنه ، فقلت : أيّ موقف لهذا الخلق ؟ قال : بين يدي مَن ؟ قال : فصاح ، وخرّ بوجهه ، ثم أفاق من غشْيتِهِ ، فقال له صاحبي : يا أبا عباد ، هذا أبو السريّ منصور بن عمار . فقال لي : مرحبًا يا أخي ،

---

(١) ثلاث شعب من الجامع ١/٢٣٨ - ٢٤٠ .

ما زلتُ إليك مشتاقًا . قال – وأراه صافحني –: أُعْلِمُك أنّ بي داء قد أعيى المتطبّبين قبلك قديمًا ، فهل لك أن تتأتّى له برِفْقِكَ وتلصق عليه بعض مراهِمِك ، لعلّ الله أن ينفع بك ؟ قال : قلت : وكيف يَعالِجُ مثلي مثلَك ، وجرحي أثقل من جرحك ؟! قال : فقال : وإنْ كان ذاك كذلك ، فإني مشتاقٌ منك إلى ذلك . قال : قلت : أمَا إذْ أبيتَ ، فلئِنْ كنت تمسّكتَ باحتفار قبرك في بيتك ، وبوصيةٍ رسْمتَها بعد وفاتك ، وبكفن أعددتَه ليوم مَنيّتك ، فإنّ لله عبادًا اقتطعهم خوفُه عن النظر إلى قبورهم . قال : فصاح صيحةً ووقع في قبره ، وجعل يفحص برجليْه ، وبال . قال : فعرفتُ بالبولِ ذهاب عقله ، فخرجت إلى طحّان على بابه ، فقلت : ادخلْ ، فأعنّا على هذا الشيخ . فاستخرجناه من قبره وهو في غشْيته ، فقال لي الطحانُ : ويحك ! ما أردت إلى ما صنعتَ بهذا الشيخ ، واللهِ لا يغفر الله لك ما صنعت . فخرجتُ وتركتُه صريعَ فترته ، فلما كان الغد عُدت إليه ، فإذا بسلخٍ في وجهه ، وإذا بشريطٍ قد شدَّ به رأسه لصداعٍ وجده ، فلما رآني قال : يا أبا السّريّ ، المعاودةَ ، يرحمك الله . فقلت : فأين بلغتَ أيُّها المتعبِّد مِن أحزانك ؟! وهل بلغ الخوف ليلة من منامك ؟! فتاللهِ ، لكأني أنظرُ إلى الصابر على خُبْز الشعير يأكل ما اشتهى ، وسُقِي عليه بلحم طيرٍ ، وسُقِي من الرحيق المختوم . قال : فشهق شهقةً ، فحرّكتُه ، فإذا هو قد فارق الدنيا »[1] .

لله درُّهم مِن أرواحٍ طاهرةٍ !!

بِهِمْ مِن جَوىٰ الأحزانِ في الصَّدرِ لَوْعةٌ   تكادُ لها نفسُ الشَّفيقِ تَذُوبُ

فكيف بنفوسهم ؟!

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٧٧ – ٧٨ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أسرَفَ رجلٌ على نفسه ، فلما حضره الموتُ أوصى بنيه ، فقال : إذا متُّ فأحرقوني ، ثم اسْحقُوني ، ثمَ ذروني في الريح في البحر ، فوالله ، لئِنْ يقدر عليّ ربي لَيُعذِّبنِّي عذابًا ما عذَّبَه أحدًا . ففعلوا به ، فقال الله عز وجل للأرض : أدِّي ما أخذتِ . فإذا هو قائمٌ ، فقال : ما حمَلكَ على ما فعلتَ ؟ قال : خشيتُك يا ربِّ . أوْ قال : مَخَافَتك . فغفر له »[1] .

قال ابن حجر في الفتح (٦/٥٢٢ - ٥٢٣) : « وأظهر الأقوال : أنه قال ذلك في حال دهشتِه وغلبةِ الخوف عليه ، حتى ذهب بعقله ؛ لِمَا يقول ، ولم يقلْه قاصدًا لحقيقة معناه ؛ بل في حالةٍ كان فيها كالغافل ، والذاهل ، والناسي الذي لا يُؤاخذ بما يصدر منه » .

الرَّجـــاء :

« الرجاء من أجلّ منازل السائرين ، وأعلاها وأشرفها ، وعليه وعلى الحبِّ والخوف مدارُ السيْر إلى الله ، وقد مدح الله تعالى أهله وأثنى عليهم ، فقال : ﴿ **لَقَد كانَ لكُمْ في رسولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كانَ يرجُو اللَّهَ واليومَ الآخر وذكَر اللَّهَ كثيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وفي الحديث الصحيح الإلهيّ ، عن النبي ﷺ - فيما يروي عن ربّه عز وجل -: « يا ابنَ آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ، على ما كان منك ، ولا أُبالي » .

وعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه ؛ إذا ذكرني في نفسه ، ذكرتُه في نفسي ، وإنْ ذكرني في مَلإ ، ذكرته في مَلإ خيرٍ منهم ، وإن اقترب إلّي شبرًا ، اقتربتُ إليه ذِراعًا ، وإن اقتربَ إلّي ذراعًا ، اقتربتُ إليه باعًا ، وإن أتاني

---

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، وابن ماجة ، والبيهقي في شعب الإيمان .

يمشي ، أتيته هَرْولةً »[١].

وقد أخبر تعالى عن خواصِّ عباده ، الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقرّبون بهم إلى الله تعالى ، أنهم كانوا راجين لهُ ، خائفين منه ؛ فقال تعالى : ﴿ **قُلِ ادعُوا الذينَ زعمْتُمْ مِن دُونِهِ فلَا يملكُونَ كشْفَ الضُّرِّ عنكُمْ وَلَا تحويلًا أولئكَ الذينَ يَدْعُون يَبتغُون إلى ربِّهم الوسيلَةَ أيُّهم أقْرَبُ ويرجُونَ رحمَتَهُ ويخافونَ عذابَهُ إنَّ عذابَ ربِّك كانَ مَحذُورًا** ﴾ [الإسراء : ٥٦ - ٥٧] .

وهو عبوديةٌ ، وتعلُّقٌ بالله من حيثُ اسمه : « المُحْسِنِ البَرُّ » فذلك التعلُّق والتعبُّد بهذا الاسم والمعرفة بالله ، هو الذي أوجب للعبد الرجاء ، من حيث يدري ومن حيث لا يدري ، فقوَّة الرجاء على حسب قوةِ المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ، وغلبةِ رحمتِهِ غضَبَه . ولولا رَوْحُ الرَّجاء لعُطِّلت عبودية القلب والجوارح ، وهُدِّمت صوامِعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ، ومساجدُ يُذكر فيها اسمُ اللهِ كثيرًا . بل لولا رَوْحُ الرجاء لما تحرّكتِ الجوارح بالطاعة ، ولولا ريحُه الطيبة لَمَا جرت سفُن الأعمال في بحر الإرادات .

ولي من الأبيات :

لولا التعلُّقُ بالرَّجاءِ تقطَّعتْ ... نفسُ المُحبِّ تحسُّرًا وتمزُّقَا
وكذاكَ لولا بَرْدُهُ بحرارةِ الْـ ... أكبادِ ذابتْ بالحِجَابِ تحرُّقَا
أيكونُ قطُّ حليفُ حُبٍّ لا يُرَىٰ ... برجائِهِ لحبيبِهِ مُتَعَلِّقَا ؟!
أمْ كُلَّما قَوِيَتْ محبَّتُه لَهُ ... قَوِيَ الرَّجاءُ فزادَ فيهِ تَشَوُّقَا
لَولا الرَّجا يَحدُو المطيَّ لَمَا سَرَتْ ... بِحُمُولِها لديارِهِمْ ترجو اللِّقَا

وعلى حَسَبِ المحبةِ وقوَّتها يكون الرجاء ، فكلُّ محبٍّ راجٍ خائفٌ

(١) رواه مسلم .

بالضرورة ، فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحبُّ ما يكون إليه ، ورجاؤه ذاتيٌّ للمحبَّة ؛ فإنه يرجوه قبلَ لقائه والوصول إليه ، فإذا لقيَهُ ووصل إليه اشتدَّ الرجاءُ له ؛ لِمَا يحصُل لهُ به ، من حياةِ رُوحه ونعيم قلبه ، من ألطاف محبوبه وبرِّه وإقبالِهِ عليه ، ونَظَره إليه بعيْن الرِّضا ، وتأهيله في محبته ، وغير ذلك مما لا حياةَ للمحبِّ ولا نعيمَ ولا فوزَ إلا بوصوله إليه من محبوبه ، فرجاؤه أعظمُ رجاءٍ ، وأجلُّه ، وأتمُّه .

وبالجملة : فالرجاء ضروريٌّ للمريد السَّالك ، والعارف لو فارقَه لحظه لَتَلَفَ أو كاد ؛ فإنه دائرٌ بين ذنبٍ يرجو غفرانه ، وعيبٍ يرجو إصلاحه ، وعمل صالح يرجو قَبولَه ، واستقامةٍ يرجو حصولَها ودوامَها ، وقربٍ من الله ومنزلةٍ عنده يرجو وصولَهُ إليها ، ولا ينفكُّ أحدٌ من السَّالكين عن هذه الأمور أوْ بعضها »[1] .

والرجاء حادٍ يحدُو القلوب ويُطيبُ لها السير إلى بلاد المحبوب ، وهو على درجاتٍ ، وعالي الهمة من تطلَّع إلى درجاتِه العُلى ، واشرأبَّتْ نفسُه إلى القمة .

قال شيخ الإسلام الهروي : « الرجاء على ثلاثِ درجاتٍ : **الدرجة الأولى** : رجاءٌ يبعث العامِلَ على الاجتهاد ، ويولِّد التلذُّذ بالخدمة ، ويوقظ الطباع للسماحة بترك المناهي » .

قال ابن القيم : « أيْ : ينشِّطهُ لبذْلِ جهدهِ لِمَا يرجُوه من ثوابِ ربِّه ؛ فإنَّ مَن عرَف قدْرَ مطلوبه هانَ عليه ما يبذُل فيه .

وأمَّا توليده للتلذُّذ بالخدمة : فإنه كُلّما طالعَ قلبُه ثمرتَها ، وحُسْن عاقِبَتها الْتذَّ بها ، وهذا كحالِ مَن يرجو الأرباح العظيمة في سفره ، ويُقاسي مشاقَّ السَّفر لأجلها ، فكلما صَوَّرَها لقلبه هانتْ عليه تلك المشاقُّ والتذّ بها . وكذلك المحبُّ الصادق الساعي في مراضي محبوبه الشاقَّة عليه ، كلما

---

(١) مدارج السالكين ٤١/٢ - ٤٣ .

تأمّل ثمرةَ رضاهُ عنه ، وقَبُوله سعْيَه ، وقربه منه تلذَّذ بتلك المَسَاعي ، وكلّما قوي علْمُ العبد بإفضاء ذلك السَّببِ إلى المُسَبَّبِ المطلوب ، وقوي علْمُه بقدْر المُسَبَّبِ وقرْب السَّببِ منه ، ازداد التذاذًا بتعاطيه .

وأما إيقاظُ الطباعِ للسماحة بترك المناهي : فإنَّ الطباعَ لها معلومٌ ورسومٌ تتقاضاها من العبد ، ولا تسمحُ له بترْكها إلّا بعِوضٍ هو أحبّ إليها من معلومِها ورسومها ، وأجلّ عندها منه وأنفعُ لها ، فإذا قويَ تعلُّقُ الرجاء بهذا العِوَضِ الأفضل الأشرف ، سمحتِ الطباعُ بتركِ تلك الرسوم وذلك المعلوم ؛ فإنَّ النفس لا تترك محبوبًا إلا لمحبوبٍ هو أحبُّ إليها منه »[١] .

قال الهروي : « **الدرجة الثانية** : رجاءُ أربابِ الرِّياضاتِ : أنْ يبلغوا موقفًا تصفو فيه هِمَمُهُم ، برفض الملذوذاتِ ، ولزومِ شروط العلم ، واستقصاء حدود الحميَّة » .

قال ابن القيم : « أرباب الرياضات : هُمُ المجاهدون لأنفسهم بتركِ مألُوفاتها ، والاستبدال بها مألوفاتٍ هي خيرٌ منها وأكمل ، فرجاؤهم أن يبلغوا مقصودَهم بصفاءِ الوقت والهمةِ من تعلّقها بالملذوذاتِ ، وتجريد الهمِّ عن الالتفات إليها ، وذلك بلزوم شروط العلم ، وهو الوقوف عند حدودِ الأحكام الدِّينية ؛ فإنّ رجاءَهم متعلِّقٌ بحصولِ ذلك لهم . واستقصاءُ حدود الحميَّة بأمريْن : بذْلِ الجهد في معرفتها علمًا ، وأخْذِ النفس بالوقوف عندها طلبًا وقصدًا »[٢] .

قال الهروي : « **الدرجة الثالثة** : رجاءُ أربابِ القلوبِ : وهو رجاءُ لقاءِ الخالقِ ، الباعث على الاشتياق ، المُبغِّض المنغِّص للعيش ، المزهِّد في الخلق » .

---

(١) مدارج السالكين ٢/٥٢ - ٥٣ .
(٢) مدارج السالكين ٢/٥٣ .

قال ابن القيم : « هذا الرجاء أفضلُ أنواع الرجاء وأعلاها ؛ قال الله تعالى : ﴿ **فَمَنْ كانَ يرْجُو لقاءَ ربِّهِ فَلْيَعَملْ عملًا صالحًا وَلا يُشرِكْ بعبادةِ ربِّهِ أحدًا** ﴾ [الكهف : ١١١] ، وقال تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يرجُو لِقاءَ اللهِ فإنَّ أجَلَ اللهِ لآتٍ وهو السَّميعُ العليمُ** ﴾ [العنكبوت : ٥] ، وهذا الرجاء هو محضُ الإيمان وزُبْدته ، وإليه شَخصَتْ أبصار المشتاقين ، ولذلك سلّاهُمُ الله تعالى بإتيان أَجَلِ لقائهِ ، وضَرَب لهم أجلًا يُسَكِّن نفوسَهم ويُطمئنُها، ولا ريبَ أنَّ عيْشَ المشتاق مُنغَّصٌ حتى يلقى محبوبَه ، فهناك تقرُّ عينُه ، ويزول عن عيْشهِ تنغيصُهُ ، وكذلك يَزهد في الخلْق غاية التزهيد ؛ لأنَّ صاحبه طالِبٌ للأُنس بالله والقرْب منه ، فهو أزهدُ شيءٍ في الخَلْق ، إلّا مَن أعانه على هذا المطلوب منهم وأوصله إليه ، فهو أحبُّ خلْق اللهِ إليه ، ولا يأنس من الخلْق بغيره ، ولا يسكُن إلى سواه ، فعليكَ بطلب هذا الرفيق جهْدَك ، فإنْ لم تظفرْ به فاتخذِ اللَّهَ صاحبًا ، ودَع الناسَ كُلَّهم جانبًا .

مُتْ بداءِ الهوىٰ وإلّا فخاطرْ ... واطرقِ الحيَّ والعيونُ نواظِرْ
لا تخفْ وحشةَ الطريقِ إذا جئْـ ... ـتَ وكُنْ في خِفَارةِ الحبِّ سائرْ
واصبرِ النفسَ ساعةً عن سِواهُم ... فإذا لَمْ تُجَبْ لِصبرٍ فصابرْ
وصُم اليوم واجعل الفطرَ يومًا ... فيهِ تَلقَى الحبيبَ بالبشرِ شاكِرْ
وافْطُمِ النفسَ عن سواهُ فكلُّ الْـ ... ـعَيشِ بعدَ الفِطامِ نحوكَ صَائرْ
وتأمّلْ سريرةَ القلبِ واستحـ ... ـي مِن اللهِ يَوْمَ تُبلىٰ السرائرْ
واجعلِ الهمَّ واحدًا يَكفِكَ اللَّـ ... ـهُ هومًا شتَّى فربُّك قادِرْ
وانتظرْ يومَ دعوةِ الخلْق إلى اللَّـ ... ـهِ ربِّهمْ مِن بطونِ المقَابرْ
واستمعْ ما الذي به أنت تُدْعَى ... مِن صفاتٍ تلوحُ وسْطَ المحاضرْ
وسماتٍ تبدُو على أوْجهِ الخلْـ ... ـقِ عيانًا تُجلىٰ على كلِّ ناظرْ
يا أخا اللُّبِّ إنما السيْرُ عزْمٌ ... ثمَّ صَبْرٌ مؤيَّدٌ بالبصائرْ
يا لهَا مِن ثلاثةٍ مَنْ يَنَلْها ... يرقَ يوم المزيد فوق المنابِرْ

فاجتهدْ في الذي يُقالُ لك البُشْـ ـرَى بذَا يومَ ضربِ البشائرْ
عملٍ خالصٍ بميزانِ وحْيٍ مَعَ سِرٍّ هناكَ في القلبِ حاضِرْ »[١]

قال ﷺ : « لو يعلم المؤمن بما عند الله من العقوبة ، ما طمع بجنتِه أحدٌ ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ، ما قنَط من جنَّته أحدٌ »[٢] .

قال حيّان أبو النضر : قال لي واثلة بنُ الأسْقع : قُدني إلى يزيد بن الأسود ، فإني قد بلغني أن ألمًا نزل به . قال : فقُدتُه ، فدخل عليه وهو ثقيلٌ ، وقد وُجِّه - يعني : نحو القبلة - وقد ذهب عقله ، قال : نادُوه . فنادَوْه ، فقلتُ : إنَّ هذا واثلة بن الأسقع أخوك . قال : فأبقى الله من عقله أن سمع أنَّ واثلة قد جاء ، فمدّ يده ، فجعل يلتمس بها ، فعلمتُ ما يريد ، فأخذتُ كَفَّ واثلةَ فجعلتها في كفِّه ، وإنما أراد أن يضع يدَه في يد واثلةَ ؛ ذلك لموضعِ يدِ واثلةَ مِن يد رسول الله ﷺ ، وجعل يضعها مرّةً على صدره ، ومرةً على وجهه ، ومرة على فِيهِ ، فقال واثلة : ألا تخبرني عن شيءٍ أسألك عنه ؛ كيف ظنك بالله ؟ قال : اغْتَرَتْني ذنوبٌ لي أشفيْتُ على هَلَكَةٍ ، ولكنْ أرجو رحمة الله . فكبّر واثلةُ ، وكبّر أهلُ البيت بتكبيره ، وقال : الله أكبر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظنِّ عبدي بي ، فليظنَّ بي ما شاء »[٣] .

« قال معتمر بن سليمان التيمي : قال لي أبي حين حضرته الوفاة :

---

(١) مدارج السالكين ٢/٥٤ - ٥٥ .

(٢) رواه أبو هريرة ، وأخرجه مسلم ، والبخاري ، والبيهقي في « شعب الإيمان » .

(٣) إسناده حسن ؛ أخرجه أحمد ، وابن المبارك في الزهد ، وعنه الدارمي ، وابن حبان ، وابن أبي الدنيا في كتاب : « حُسْن الظن » ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، وليس عند الجميع القصة المذكورة؛ بل الحديث واللفظ هنا للبيهقي في الشُّعَب .

يا معتمر ، حدِّثني بالرُّخَص ، لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظنَّ به »[1].

« وعن سُرِّيَّة الربيع بن خثيم ، قالت : لما احتضر الربيع بكتْ ابنتُه ، فقال: يا بنية، لا تبكي، ولكن قولي : يا بشرَىٰ ، اليوم لقي أبي الخير »[2].

« قال يحيى بن معاذ الرازي : مُسْتقَىٰ الخوْف من بحر عدْلِه ، ومُسْتقَىٰ الرَّجاءِ من بحر فضله ، وقد سبَق القضاءُ أنَّ رحمتَه سبقتْ غضبَه » .

وقال رحمه الله : « إن كان صغُر في جنب عطائك عملي ، فقد كبُر في حُسْن رجائك أملي .

وقال أيضًا : لقد رجوتُ ممَّن ألبسَني بين الأحياءِ ثوْبَ عافيته ، أن لا يعذبني بعد الممات ، وقد عرفتُ جُودَ رأفتِهِ .

إلٰهي ، إنْ كنتُ غيرَ مستأْهِلٍ لما أرجُو من رحمتك ، فأنت أهلٌ أن تجودَ على المذنبينَ بفضل سَعتك .

إلهي ، لولا ما عرفتُ مِن عدْلك ما خفتُ من عذابِك ، ولولا ما عرفتُ من فضلك ما رجوتُ ثوابَك .

إلهي، إن كنتَ لا تعفو إلا لأهل طاعتك، فإلى مَن يفزعُ المذنبون؟! وإن كنتَ لا ترحم إلا أهلَ تقواك ، فبمَن يستغيثُ المُسيئون؟! »[3]. اهـ.

لله درُّك يا يحيى من واعظٍ وطبيبِ قلوب !!

قال البيهقي في « الشُّعَب » : « قال بعضُ الحكماء في مناجاته :

---

(١) الحلية ٣/٣١ ، وابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » ص٤٥ ، وابن الجوزي في « الثبات عند الممات » ص١٤٨ .

(٢) الحلية ٢/١١٤ ، ومصنف ابن أبي شيبة ١٣/٤٠٠ .

(٣) الجامع لشُعَبِ الإيمان .

إلٰهي ، لو أتاني الخبرُ أنَّك غيرُ قابلٍ دعائي ، ولا سامعٍ شكْوايَ ، ما تركتُ دعاءَك ما بلَّ ريقي لساني ، أين يذهب الفقيرُ إلا إلى الغنيِّ ، وأينَ يذهبُ الذليل إلّا إلى العزيز ، وأنت أغنى الأغنياء ، وأعزُّ الأعزَّاءِ يا رب ؟! »

« وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعتُ أبا سليمان الداراني ، ووقفتُ عليه وهو لا يراني ، فسمعتُه يقول : لئِن طالبتني بذنوبي لَأُطالبنَّك بعفوك ، ولئنْ طالبتَني بتوبتي لأطالبنَّك بسخائك ، ولئنْ أدخلتني النار ، لأخبرنَّ أهل النار أنِّي أحبُّك »[1] .

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه : « إنّ الله عزَّ وجلّ خلَق مائة رحمةٍ ، منها رحمةٌ يتراحم بها الخلق ، وتسعٌ وتسعون ليوم القيامة » رواه مسلم .

قال أيوب السختياني – لله درُّه –: « إنَّ رحمة قسمها في دار الدنيا ، وأصابني منها الإسلام ، إني لأرجو مِن تسْعٍ وتسعين رحمةً ما هو أكثرُ من ذلك » .

نعم يا سيّدَ شباب أهل البصرة .. هذه كلمةٌ تُكتب بمدادٍ من نورٍ .. فالإسلام أجلُّ النِّعَمِ كان نصيبَ السختياني من الرحمة المقسومة على الخلائق.. فما ظنُّك بما عند الخير من الخير في تسعٍ وتسعين رحمة ؟!

« وقال أبو بكر السهزراوي : كنتُ في مجلسِ أبي القاسم الجُنيد وابنُ عطاءٍ حاضرٌ ، ورجلٌ في المجلس قد غلبتْه شدَّةُ الخوْفِ وهو يرجُف ، فقال له أبو القاسم الجنيدُ : لا ترُعْ ، فما هو إلا أن تبدو عينٌ من عيون الرحمةِ ، فإذا المُسيء قد لحِقَ بالمحسن . قال ابن عطاء : حتى تبدو . فغضب الجنيد وقال : أما والله إنها لبادية ، أما علمتَ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « يقول الله

(١) الحلية ٢٥٤/٩ ، وصفة الصفوة ٢٢٦/٤ ، وشعب الإيمان .

عز وجل : سبقت رحمتي غضبي » ؟! قال : فسكت ابن عطاء »[(١)] .

قال يحيى بن معاذ الرازي : « كيف أخافك وأنت كريم ، وكيف لا أرجوك وأنت عزيزٌ ؟! فأنا بين خوفٍ يقطعني ، ورجاءٍ يوصلني ، فلا رجائي يدعني أموتُ خوفًا ، ولا خوفي يتركني فأحيا فرحًا »[(٢)] .

« وعن سليمان بن الحكم بن عوانة ، أن رجلًا دعا بعرفاتٍ ، فقال : لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنْتَ توحيدكَ قلوبَنا . قال : ثم بكى وقال : ما إخالُك تفعلُ بعفوك . ثم بكى وقال : لئن فعلتَ فبذنُوبِنَا لتجمعنَّ بيننا وبين قومٍ طالما عاديناهم فيك » .

اللهم ، لا تشمِّتْ مَن كان يشرك بك بمن كان لا يشركُ بك .

وكان عمر بن ذر رحمه الله إذا تلا ﴿ **وأقسَمُوا بالله جَهْد أيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ** ﴾ [النحل : ٣٨]، قال : ونحن نُقسم بالله جَهْد أيمانِنَا ليبعثنَّ اللهُ مَن يموتُ . أتُراك تَجمع بين القَسَمَيْن في دارٍ واحدة؟![(٣)] .

« وعن يحيى بن يَمان قال : قال سفيان الثوريُّ رحمه الله : ما أُحبُّ أنَّ حسابي جُعل إلى والدي ؛ ربي خيرٌ لي مِن والدي »[(٤)] .

لله ما أحلاها كلمةً يجودُ بها علينا الثوريُّ إمامُ البكّائين !!

وقال بعض العُبَّاد : لما علمت أن ربي عز وجل يلي محاسبتي ، زالَ عني حزني ؛ لأنّ الكريمَ إذا حاسَبَ عبدَه تفضَّل .

قال إدريس بن عبد الله المروزي : مرِض أعرابيٌّ فقيل له : إنك تموت . قال : وأين يُذهب بي ؟ قالوا : إلى الله عز وجل . قال : فما كراهتي

---

(١) أخرجه مسلم ، والبخاري ، وأحمد عن أبي هريرة . والقصة في شعب الإيمان .

(٢) شعب الإيمان ، وصفة الصفوة ٤/٩١ .

(٣) « حسن الظن بالله » لابن أبي الدنيا ص٢٧ .

(٤) حُسن الظن بالله ص٤٥ .

أنْ أذهب إلى مَنْ لا أرى الخيرَ إلا منه ؟!

وعن جُندب أن رسول الله ﷺ حدّث « أنَّ رجلًا قال : واللهِ ، لا يغفر الله لفلانٍ . وأنَّ الله قال : مَن ذا الذي تألّى عليّ أن لا أغفر لفلانٍ ؛ فإني قد غفرتُ لفلانٍ ، وأحبطت عملَك »[١].

قال سعيد بن ثعلبة الوراق : بتنا ليلةً مع رجلٍ من العابدين على الساحل بسيراف ، فأخذ في البكاء ، فلم يزلْ يبكي حتى خِفْنا طلوعَ الفجر ، ولم يتكلم بشيءٍ ، ثم قال : جُرمي عظيمٌ ، وعفوك كبيرٌ ، فاجمعْ بين جرمي وعفوك يا كريم . قال : فتصارخ الناس مِن كلِّ ناحيةٍ .

وقال مسمع : قالت امرأةٌ من العرب ، ذاتُ عقل ودين : سبحانك إلهي ، إمهالُك المذنبينَ أطمعني لهم في حُسْن عفوك عنهم . سبحانك إلهي ، لم يزل قلبي يشهد برضاك لمن نالَ عفوك . سبحانك إلهي ، تفضُّلًا منك وامتنانًا على خلقك !

وعن ابن عونٍ قال : ما رأيتُ أحدًا كان أعظمَ رجاءً لهذه الأمَّة مِن محمد بن سيرين ، وأشدَّ خوفًا على نفسه منه

وقال ابن عون أيضًا : ما رأيت أحدًا كان أعظمَ رجاءً للموحِّدين من محمد ابن سيرين رحمه الله ، كان يتلو هذه الآيات ﴿ **إنَّهم كانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إلٰه إلَّا اللهُ يسْتكبِرُون** ﴾ [الصافات : ٣٥] ، ويتلو ﴿ **ما سَلَكَكُمْ في سَقَر قالُوا لمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّين وَلَم نَكُ نطعمُ المِسْكينَ وكُنَّا نخُوضُ مَعَ الخائضين وكُنّا نكذب بيوم الدِّينِ حتَّى أتَانا اليَقينُ** ﴾ [المدثر : ٤٢ - ٤٧] ، ويتلو ﴿ **لا يَصْلاها إلّا الأشْقَى الَّذي كذَّبَ وتولَّى** ﴾[٢] [الليل : ١٥ - ١٦].

---

(١) الحديث إسناده صحيحٌ على شرط مسلم ، أخرجه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » ، وأخرجه مسلم بمثله ، والبغوي في « شرح السنة » ، والطبراني .

(٢) الحلية ٢/٢٧٠ ، وحسن الظن بالله ص٧٧ .

وعن داود بن أبي هندٍ قال : تَمَثَّلَ معاويةُ عند الموت :

هُوَ الموتُ لا منجا مِنَ الموتِ والذي ... نُحاذرُ بعدَ الموتِ أدَهى وأفظَعُ

ثم قال : اللهمَّ فأقِلِ العثْرة ، وعافِ عن الزَّلَّةِ ، وجُدْ بحِلْمك على جهْلِ مَن لم يَرْجُ ولم يثق إلّا بك ؛ فإنك واسعُ المغفرة ، ليس لذي خطيئةٍ مهربٌ إلا أنت . فلما بلغ القولُ سعيدَ بن المسيِّب قال : لقد رغبَ إلى مَن لا مرغوبَ إليه مثلُه .

وعن أبي المنذر الكوفي ، أن معاويةَ جعل يقولُ وهو في الموت :

إنْ تُناقِشْ يَكُنْ نقاشُك يا ربِّ عذابًا ، لا طوْقَ لي بالعذاب ، أو تجاوِزْ فأنت ربٌّ رحيمٌ عن مُسيءٍ ذنوبُه كالتراب .

وقال الشَّعبي : لقدْ سمعتُ من عبد الملك بن مروان كلامًا على أعواده هذه حسدتُه عليه ؛ سمعتُه يقول : اللهمَّ ، إنَّ ذنوبي عظمتْ فجلّتْ عن الصِّفَة ، وإنها صغيرةٌ في جَنْبِ عفوك ، فاعفُ عني .

وقال أبو عمرانَ السّلميّ :

وإني لآتي الذنبَ أعرفُ قَدْرَهُ ... وأعلَمُ أنَّ اللهَ يعفو ويغفِرُ

لئنْ عظَّم الناسُ الذنوبَ فإنَّها ... وإنْ عَظُمَتْ في رحمةِ اللهِ تصْغُرُ

قال عبد الله بن مسعود : إن أكبر آية في القرآن فَرَجًا آيةٌ في سورةِ الغُرَفِ ﴿ **قُلْ يا عباديَ الذينَ أسْرفُوا علىٰ أنفُسِهِمْ** ... ﴾ الآية [الزمر : ٥٣] ، فقال مسروق : صدقت[(١)].

وعن أنسِ بن مالكٍ أنَّ النبي ﷺ قال : « يخرجُ مِنَ النَّار أربعةٌ - قالهُ أبو عمران ، وقال ثابت : رجلان - فيعْرَضُون على ربِّهم ، فيأمُرُ بهم إلى النار فيلتفِتُ أحدهم ، فيقول : أيْ ربّ ، قد كنتُ أرجو إذْ أخرجتني منها أن لا تعيدَني فيها . قال : فينجِّيه الله منها »[(٢)].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله ص٧٩ بإسنادٍ رجالُه كلهم ثقات .

(٢) صحيح بمجموع الطرق ، رواه أحمد ، وابن أبي عاصم ، وابن حبان ، =

وعن بكر بن سليمان الصَّوَّاف قال : دخلنا على مالِك بن أنس في العشيَّة التي قُبض فيها ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، كيف تجدُك ؟ قال : ما أدري ما أقول لكم ، إلّا أنَّكم ستُعاينُون غدًا من عفو الله ما لم يكن لكم في حسابٍ . قال : ثم ما برِحْنَا حتى أغمضناه[1] .

ولقي مالكُ بن دينار أَبان بن أبي عياش ، فقال مالكٌ : إلى كم تُحدِّث الناس بالرُّخص ؟! فقال : يا أبا يحيىٰ ، إني لأرجو أن ترى من عفو الله عز وجل يومَ القيامة ما تخرقُ له كساءَك هذا من الفَرَح .

بعَيْنِ مولاهُم ما يتحمل المتحمِّلون من أجله ، وما يكابدون في طَلَب مرضاته ، أتراهُ ينسىٰ لهم عملًا ؟! كيف وهو الرحيم بخلقه ؟! لو كان معاجلًا بالعقوبة أحدًا ، أو كانت العقوبةُ مِن شأنه ، لَعاجَل بها القانطين من رحمته ، ولو يرى عبادُه المؤمنون كيف استوهبهم ممَّن ظلموه ، ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم في جواره ، إذًا ما اتهموا فضلَه وكرَمَه .

لو يعلم المُدْبِرُون عنه كيف انتظارُه لهم ، ورحمته إيّاهم لتقطَّعتْ أوصالهم شوقًا إليه ، هذه إرادته في المدْبرين عنه ، فكيف بالمقبلين عليه ؟!

« عن يحيى بن عمر التيمي - مولًى لبني تيْم بن مرَّة - قال : قال لي سفيان بن عيينة ، وكنت طلبتُ الغزْوَ فأخفقتُ وأنفقتُ ما كان معي ، فأتاني حين بلغه خبري ، وقد كان عرفني قبل ذلك بطولِ مجالستِه ، فقال لي : لا تأْسَ على ما فاتك ، واعلم أنَّك لو رُزقتَ شيئًا لأَتاكَ . ثم قال لي : أبشرْ ؛ فإنَّك على خير ، تدري مَن دعا لك ؟ قال : قلت : ومَن دعا لي ؟ قال : دعا لـك حَمَلةُ العرش ، ودَعا لك نبيُّ اللهِ نوح ! قال : نعم ،

= وأبو نعيم في الحلية ، والبغوي في شرح السنة ، وابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » ، واللفظ له ، وهو عند مسلم بلفظٍ آخر .

(١) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص٩٦ .

ودعا لك خليلُ الله إبراهيم عليه السلام . قال : قلت : دعا لي هؤلاءِ كلهم ؟! قال : نعم ، ودعا لـك محمدٌ ﷺ . قال : قلت : فأينَ دعا لي هؤلاء ؟ قال : في كتاب الله عز وجل ؛ أمَا سمعتَ قوله : ﴿ **الذينَ يحملُونَ العرْشَ ومَنْ حَوْلهُ يسبِّحُون بحمدِ ربِّهم ويُؤْمنون بهِ ويستغفرونَ للذين آمنوا** ... ﴾ [غافر : ٧] قال : قلت : فأين دعا لي نبيُّ اللهِ نوحٌ ؟ قال : أما سمعتَ قوْلَه عز وجل : ﴿ **ربِّ اغفر لي ولوالدَيَّ ولِمَنْ دخل بيتي مُؤمنًا وللمؤمنينَ والمؤمناتِ** ... ﴾ الآية [نوح : ٢٨] ؟! قال : قلت : فأين دعا لي خليل الله إبراهيم عليه السلام ؟ قلت : أمَا سمعتَ قوله : ﴿ **ربَّنَا اغفرْ لي ولوالديَّ وللمؤمنينَ يوْمَ يقومُ الحسابُ** ﴾ [إبراهيم : ٤١] ؟! قال : قلت : فأين دعا لي محمد ﷺ ؟ قال : فهزّ رأسه ، ثم قال : أما سمعتَ إلى قوْلِ الله عز وجل : ﴿ **واستغفِرْ لذَنْبكَ وللمؤْمنينَ والمُؤْمِنَاتِ** ... ﴾ الآية [محمد : ١٩] ؟! فكان النبي ﷺ أطوعَ لله عز وجل ، وأبرَّ بأمَّتِه ، وأرأف لها ، وأرحم مِن أن يأمره اللهُ بشيءٍ فلا يفعله »[1] .

« قال ابن السماك : تباركْتَ يا عظيم ، لو كانت المعاصي التي عُصيتَها طاعةً أُطعْتَ فيها ، ما زادَ على النِّعَم التي تُنيلُها ، وإنك لتزيدُ في الإحسانِ إلينا حتى كأنَّ الذي أُتينا من الإساءة إحسانًا ، فلا أنت بكثرة الإساءة منا تدعُ الإحسان إلينا ، ولا نحنُ بكثرةِ الإحسان منك إلينا عن الإساءة نُقلع ، أبيْت إلا إحسانًا وإجمالًا ، وأبينا إلّا إساءةً واجترامًا ، فمَن الذي يُحصي نِعَمك ، ويقوم بأداء شكرك إلّا بتوفيقك ونِعَمِك ، ولقد فكّرتُ في طاعة المطيعين فوجدتُ رحمتَك متقدِّمَة لطاعتهم ، ولولا ذلك لَمَا وصلوا إليها ، فنسألُك بالرحمةِ المتقدمةِ للمطيعين قبل طاعتِهم لَمَا مَنَنْتَ بها على العاصِين بعد معصيتهم » .

---

(١) الحلية ٢٧٩/٧ ، وشعب الإيمان .

اللهم ، إنا لنسْتَحيي منك أن تعلمَ مِن قلوبنا أنَّا ظننَّا أنَّ رحمتك عَجَزتْ عنا .

لله درُّ أحمد بن العباس النمري حين قال :

وإني لأَرجـو اللهَ حتَّى كأنَّني   أرَىٰ بجميل الظَّنِّ ما اللهُ صانِعُ

قال ابن المبارك : جئتُ إلى سفيان الثوري عشيَّةَ عرفة وهو جاثٍ على ركبتيْه ، وعيناه تهملانِ ، فقلت له : مَنْ أسوأُ هذا الجمعِ حالًا ؟ قال : الذي يظنُّ أنَّ الله لا يغفر لهم .

ونظر الفضيل بن عياض إلى تسبيحِ الناس وبكائهم عشيَّةَ عرفة ، فقال : أرأيتم لو أنَّ هؤلاء صاروا إلى رجلٍ فسألوه دانقًا - يعني : سُدُس درهم - أكان يردّهم ؟ قالوا : لا . قال : واللهِ ، لَلْمغفرةُ عند الله أهونُ مِن إجابة رجلٍ لهم بدانِقٍ .

وإني لأدعو اللهَ أطلـبُ عفـوَهُ   وأعلـمُ أنَّ اللهَ يعـفُو ويغـفرُ
لئِنْ أعظمَ الناسُ الذنوبَ فإنَّها   وإنْ عظمتْ في رحمةِ اللهِ تصْغُرُ

وقال إبراهيم بن الأشعث : سمعتُ الفضيل بن عياض رحمه اللهُ يقول : لو أدخلني النارَ فصرتُ فيها ما أَيِسْتُه[١] .

وقال أبو حازم المديني : مِن أعظم خَصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشدَّ الناسِ خوفًا على نفسه ، وأرجاه لكلِّ مسلمٍ .

وكان عمر بن ذر يقول : اللهمَّ ارحمْ قومًا أطاعوك في أحبِّ طاعتك إليك : الإيمانِ بك والتوكُّل عليك ، وارحمْ قومًا أطاعوك في ترْكِ أبْغضِ المعاصي إليك : الشِّركِ بك والافتراء عليك . قال : فكان بعضهم يقول : إنْ كان كلُّ ما عُصِيَ اللهُ به عظيمًا ، فإنه في سَعةِ رحمته صغيرٌ .

---

(١) حسن الظن بالله ص٩٥ .

وقال أبو شيبةَ الزّبيدي : خفتُ نفسي ورجوتُ ربِّي ، فأنا أُحبُّ أن أُفارق مَن أخافُ إلى مَن أرجوه .

وعن عبد الواحد بن زيدٍ قال : قلتُ لزياد النميريّ : ما منتهى الخوفِ ؟ قال : إجلالُ اللهِ عن مقامِ السَّوْءات . قال : قلت : فما منتهى الرجاء ؟ قال : تأْميلُ اللهِ عز وجلّ على كلِّ الحالات .

قال سليمان التيمي : قال لقمانُ لابنه : أيْ بُنَّي ، عَوِّدْ لسانَك : « اللهمَّ اغفر لي » ، فإن للهِ ساعاتٍ لا يَردُّ فيهنَّ سائِلًا .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله عُتَقَاء مِن النار في كلِّ يومٍ وليلةٍ ، ولكلِّ عبدٍ منهم دعوةٌ مستجابةٌ »[1] .

وعن عطاء بن السائب قال : دخلنا على أبي عبد الرحمن نعوده ، فذهب بعض القوم يُرَجِّيه ، فقال : إني لأرجو ربي ، وقد صمتُ له ثمانين رمضان[2] .

« وقال عوْنُ بن عبد الله : إنّ مِن أغرّ الغُرَّة ؛ انتظار تمام الأماني ، وأنت أيُّها العبد مقيمٌ على المعاصي ، لقد خاب سعي المعرضين عن الله . وقال : ما نُؤَمِّل إلا عفوه . وغلبه البكاء ، فقام »[3] .

قال زيـد بن عليّ : إنما سـمَّى نفسَه « المـؤمن » ؛ لأنه آمَنَهُم من العذاب .

وقال الثوري في قوله تعالى : ﴿ **وأحْسِنُوا إنَّ اللهَ يُحبُّ المحسنينَ** ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، قال : أَحسِنُوا باللهِ الظَّن .

---

(١) صحيح بشواهده : رواه أحمد ، وأبو نعيم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، واللفظ له ، وأورده الألباني في صحيح الجامع ، وذكر له شاهدًا من حديث جابر ، وأشار إلى أن « سمويه » أخرجه في فوائده ٢٣٢/١٢ .

(٢) حسن الظن بالله ص١١٣ .

(٣) حسن الظن بالله ص١١٥ .

قال محمود الورّاق :

حُسْنُ ظنّي بحسْنِ عفوِكَ يا ربِّ جميلٌ وأنتَ مالكُ أمري
صُنْتُ سرِّي عنِ القرابة والْـ أهلِ جميعًا وكنتَ موضعَ سِرّي
ثقة بالذي لديْكَ مِنَ السَّتْـ ـرِ فلا تُخْزِني يومَ نشْري
يومَ هتْكِ السُّتورِ عنْ حُجُبِ الغيـ ـبِ فلا تَهْتكنَّ للناس ستْرِي
لَقِّنِّي حُجَّتي وإنْ لمْ تكُنْ يا ربِّ لي حجّة ولا وجْه عُذرِ

وقال :

ما زلتُ أُغرقُ في الإساءَةِ دائبًا وتنالُني بالعفوِ والغفرانِ
لم تنتقصْني إذْ أسأتُ وزدْتَني حتَّى كأنَّ إساءَتي إحسانُ
تُولي الجميلَ عنِ القبيحِ كأنّما يُرضيكَ مِنِّي الزُّورُ والبُهْتَانُ

تعاليْتَ مِن عظيمِ حِلْمك بعد علمك ، ورحمتِك قبل غضَبك ..

قال أبو حازم الأعرج لما حضره الموت : أجدني بخيرٍ ، أجدُني راجيًا لله عزَّ وجل حسنَ الظنِّ به ، إنه - واللهِ - لا يستوي مَن غدا وراح يعمرُ عقْدَ الآخرة لنفسهِ ، فيُقدمُها أمامَه قبل أن ينزل به الموتُ حتَّى يقدم عليها ، فيقوم لها وتقوم له ، ومَن غدا وراح في عقْد الدنيا يعمرها لغيره ، ويرجع إلى الآخرة ، لا حظَّ له فيها ولا نصيبَ .

ونختم بما قال فتح الموصلي : « كَبُرت عليّ خطاياي وكثرتْ ، حتى لقد آيَسَتْني من عظيمِ عفو الله . ثم قال : وأنَّى آيَسُ منكَ ، وأنت الذي جُدتَ على السَّحَرة بعد أنْ غَدَوْا كفرةً فجرةً ؟! وأنَّى آيَسُ منك ، وأنت ولِّي كلِّ نعمةٍ وخيرٍ ؟! وأنَّى آيسُ منك ، وأنت المغيثُ عند الكرب ؟! فلم يزلْ يقول : وأنَّى آيس منك . حتى سقط مغشيًّا عليه » .

نضّر الله هذه الأوجُهَ ... ورحِمَ غربتَها ، جزاءَ ما قدّموا لدينهم ،

وربَّوْا أجيالًا وأجيالًا من بعدهم ، بعاطرِ وصادق مواعظِهم وكلماتِهم ، ورحمَ اللهُ مَن قال : « كلام السَّلفِ قليلٌ كثيرُ البَرَكَةِ ، وكلامُ الخَلَفِ كثيرٌ قليلُ البركةِ » . « وليستِ النائحةُ الثَّكْلى كالمُسْتَعَارَة » .

* * *